

مواقف

ضحك فيها

صلى الله
عليه
وسلم

النبي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، البشير النذير والسراج المنير صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين؛ أما بعد.

حديث اليوم حديث تستلذه الأسماع وتهفو إليه الأفئدة، حديثنا اليوم عن خير البشر على الإطلاق، وأحب البشر إلى الله ﷺ وخير من مشى على وجه الأرض، محمد بن عبد الله، إمام المتقين، وسيد المرسلين، و خليل رب العالمين، وهو خاتم النبيين والمرسلين عليه أفضل الصلوات والتسليم. بعثه عليه الصلاة والسلام لتبديد الظلام وحل مكانه النور، بمولده أشرقت الأرض، سيد البشر ﷺ، اختصه سبحانه بالمقام المحمود الذي يحمد فيه الأولون والآخرون، وهي الشفاعة العظمى، قال رسول الله - ﷺ -: "أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرُ وَأَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفِّعٍ"^١ وعن أبي سعيد - رضي الله عنه -، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ -: "أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ وَيَبْدِي لَوَاءُ الْحَمْدِ وَلَا فَخْرَ وَمَا مِنْ نَبِيٍّ يَوْمُنَدِ آدَمَ فَمَنْ سِوَاهُ إِلَّا تَحْتَ لَوَائِي وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الْأَرْضُ وَلَا فَخْرٌ"^٢.

■ فأول من تنشق عنه الأرض محمد - ﷺ -، وأول من تفتح له أبواب الجنة محمد - صلى الله عليه - وسلم -، يطرق الباب وتقول الملائكة من؟ يقول أنا محمد ابن عبد الله، فتقول الملائكة أمرنا لا نفتح إلا بك.

فعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله - ﷺ -: "آتِي بَابَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَسْتَفْتَحُ، فَيَقُولُ الْحَازِنُ: مَنْ أَنْتَ؟، فَأَقُولُ: مُحَمَّدٌ، فَيَقُولُ: بِكَ أَمِرْتُ لَا أَفْتَحُ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ"^٣.

^١ [صحيح مسلم: (٢٢٧٨)].

^٢ [صحيح الترمذي: (٣١٤٨)].

^٣ [أخرجه مسلم: (١٧٩)].

لا يدخل الجنة أحد قبله، ويدخل ومعه أول زمرة على صورة القمر ليلة البدر، قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، "إِنَّ أَوَّلَ زُمْرَةٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ عَلَى أَشَدِّ كَوَكَبٍ دُرِّيٍّ فِي السَّمَاءِ إِضَاءَةً"^١.

جعل الله اتباع الرسول -ﷺ- هو حب لله تعالى، فقال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^٢.

وطاعته ﷺ طاعة لله تعالى: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾^٣، فمن أطاعه رفعه الله، ومن عصاه خذله الله، ولا يقدم قول بشر على قوله -ﷺ- إلا قول الله ﷻ.

وصلت عليه الملائكة، وأمر سبحانه المؤمنين بالصلاة عليه قائلاً ﷻ في كتابه: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾^٤.

كان رسول الله ﷺ أصدق الخلق، وأرحم الخلق بالخلق، قال الله واصفاً إياه: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾^٥، رحمة جمعت له قلوب الخلق، فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك لقب بالصادق والأمين؛ كان أصدق الناس حديثاً، وأوفى الناس وعوداً.

كان -ﷺ-، قائداً شجاعاً، مجاهداً مقداماً، وزوجاً ودوداً، وأباً رحيماً، وجاراً وفياً، كان يأتيه الرجل من الكفار وما على الأرض أبغض إليه من رسول الله وما إن يراه ويرى خلقه ينقلب في ساعته وما على الأرض أحب إليه من رسول الله.

أما صفاته وأخلاقه، فيعجز اللسان عن ذكرها، فقد كَانَ رسول الله -ﷺ-، أجمل الناس وجهاً، وأحسن الناس خلقاً.

١ [صحيح البخاري: (٣٣٢٧)].

٢ [آل عمران: ٣١].

٣ [النساء: ٨٠].

٤ [الاحزاب: ٥٦].

٥ [التوبة: ١٢٨].

قَالَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رضي الله عنه: "كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ خُلُقًا"^١، وكيف لا وقد قال الله ﻋَﻠَﻴْهِ السَّلَامُ عنه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^٢.

وسئل البراء رضي الله عنه: "أَكَانَ وَجْهُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِثْلَ السَّيْفِ؟ قَالَ: لَا، بَلْ مِثْلَ الْقَمَرِ"^٣. وقال أَنَسُ رضي الله عنه: "كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَزْهَرَ اللَّوْنِ، كَأَنَّ عَرْقَهُ اللَّوْلُو، إِذَا مَشَى تَكْفَأَ، وَلَا مَسِسْتُ دِيبَاجَةً، وَلَا حَرِيرَةً أَلَيْنَ مِنْ كَفِّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلَا شَمَمْتُ مِسْكَةً وَلَا عُنْبَرَةً أَطِيبَ مِنْ رَائِحَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ"^٤.

وقال البراء رضي الله عنه: "كَانَ مَرْبُوعًا، بَعِيدَ مَا بَيْنَ الْمَنْكِبَيْنِ، لَهُ شَعْرٌ يَبْلُغُ شَحْمَةَ أُذُنَيْهِ، رَأَيْتُهُ فِي حُلَّةٍ حُمْرَاءَ، لَمْ أَرَى شَيْئًا قَطُّ أَحْسَنَ مِنْهُ، كَانَ مِثْلَ الْقَمَرِ"^٥.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما عنه: "إِذَا تَكَلَّمَ رُؤْيَى كَالنُّورِ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ ثَنَائِيهِ"^٦. الكلام عنه يطول ومهما تحدثنا عن سيرته فهو نقطة من بحر، ونسأل الله أن يجزيه عنا خير الجزاء، وأن يجمعنا به في أعلى الدرجات، اللهم إنا نشهد بأننا نحبك ونحب نبيك ﷺ، فاللهم فلا تحرمنا شفاعته يوم العرض، وارزقنا اتباعه والتأسي به والاقتراء بهديه، واجعلنا من أنصار دينه، الداعين إلى سنته، المتمسكين بشرعه.

ونقرأ أحاديث عن مواقف ضحك منها النبي ﷺ ومواقف بكى منها النبي ﷺ في هذين اليومين،
ونبتدأ بالمواقف التي ضحك منها النبي ﷺ

أما ضحكك فكان تبسماً وأشد ما يكون أن تبدو نواجزه ﷺ.
فعن جابر بن سمرة -رضي الله عنه-، أنه سُئِلَ: "أَكُنْتَ تُجَالِسُ رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، كَانَ طَوِيلَ الصَّمْتِ قَلِيلَ الضَّحِكِ"^١.

١ [صحيح مسلم: (٢٣١٠)].

٢ [القلم: ٣]

٣ [صحيح البخاري: (٣٥٥٢)].

٤ [متفق عليه].

٥ [صحيح البخاري: (٣٥٥١)].

٦ [الجامع الصحيح: (٦٤٦٤)].

وعن جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه قال: "مَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مُنْذُ أَسَلَمْتُ إِلَّا تَبَسَّمَ فِي وَجْهِهِ .
ويقول جابر بن سمرة رضي الله عنه في وصف النبي ﷺ: "كَانَ لَا يَضْحَكُ إِلَّا تَبَسُّمًا"^٢.
ونحانا نبينا الكريم عن كثرة الضحك، وأخبرنا أن كثرة الضحك تميّت القلب، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال:
قال رسول الله ﷺ: "لَا تُكْثِرُوا الضَّحْكَ؛ فَإِنَّ كَثْرَةَ الضَّحْكَ تَمِيتُ الْقَلْبَ"^٣.
وعن عائشة قالت: "مَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مُسْتَجْمَعًا قَطُّ ضَاحِكًا، حَتَّى أَرَى مِنْهُ لَهَوَاتِهِ، إِنَّمَا
كَانَ يَتَسَمُّ"^٤.

والضحك صفة من صفات الله ﻫﻮ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: "أَتَى رَجُلٌ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَصَابَنِي الْجُحْدُ، فَأَرْسَلْ إِلَى نِسَائِهِ فَلَمْ يَجِدْ عِنْدَهُنَّ شَيْئًا، فَقَالَ رَسُولُ
اللَّهِ ﷺ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَلَا رَجُلٌ يُضَيِّفُهُ هَذِهِ اللَّيْلَةَ، يَرْحَمُهُ اللَّهُ؟ فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَالَ:
أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ، فَقَالَ لِمَرْأَتِهِ: صَيِّفُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا
تَدْخِرِيهِ شَيْئًا، قَالَتْ: وَاللَّهِ مَا عِنْدِي إِلَّا قُوتُ الصَّبِيَّةِ، قَالَ: فَإِذَا أَرَادَ الصَّبِيَّةُ الْعِشَاءَ فَتَوَمِّمِيهِمْ،
وَتَعَالِي فَاطْفِي السَّرَاجَ وَنَطْوِي بُطُونَنَا اللَّيْلَةَ، فَفَعَلَتْ، ثُمَّ غَدَا الرَّجُلُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: لَقَدْ عَجِبَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ - أَوْ ضَحِكَ - مِنْ فَلَانٍ وَفُلَانَةٍ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ
وَجَلَّ: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾^٥.

وحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

"يَضْحَكُ اللَّهُ إِلَى رَجُلَيْنِ يَقْتُلُ أَحَدُهُمَا الْآخَرَ يَدْخُلَانِ الْجَنَّةَ؛ يُقَاتِلُ هَذَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلُ، ثُمَّ
يَتُوبُ اللَّهُ عَلَى الْقَاتِلِ فَيَسْتَشْهَدُ"^٦.

^١ [رواه أحمد في مسنده]

^٢ [رواه الحاكم].

^٣ [رواه ابن ماجه].

^٤ [متفق عليه].

^٥ [صحيح البخاري (٤٨٨٩)].

^٦ [رواه البخاري (٢٨٢٦)، ومسلم (١٨٩٠)].

ومنها: ما جاء في الحديث الطويل في آخر أهل النار خروجاً منها وآخر أهل الجنة دخولاً: وفيه أن الرجل يظل يدعو ويلح ، ويرجو من الله أن يدخله الجنة بعدما أخرجه من النار ، وجعله على باب الجنة، حتى يقول :

"أَيُّ رَبِّ، لَا أَكُونَنَّ أَشَقَى خَلْقِكَ!!، فَلَا يَزَالُ يَدْعُو حَتَّى يَضْحَكَ اللَّهُ مِنْهُ، إِذَا ضَحِكَ مِنْهُ، قَالَ لَهُ: ادْخُلِ الْجَنَّةَ، فَإِذَا دَخَلَهَا ، قَالَ اللَّهُ لَهُ: تَمَنَّهُ!! فَسَأَلَ رَبَّهُ ، وَتَمَنَّى، حَتَّى إِنَّ اللَّهَ لَيَذْكُرُهُ، يَقُولُ : كَذَا ، وَكَذَا، حَتَّى انْقَطَعَتْ بِهِ الْأُمَامِيُّ، قَالَ: اللَّهُ ذَلِكَ لَكَ، وَمِثْلُهُ مَعَهُ " ١ .
فنبداً بذكر الأحاديث مع قليل من التعليق :

- ١: ضحكك - ﷺ - لقول الرجل يوم القيامة: "إن لي ذنوباً لا أراها ههنا":

قال رسول الله - ﷺ -: «إِنِّي لَأَعْلَمُ أَوَّلَ رَجُلٍ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ وَآخِرَ رَجُلٍ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ، يُؤْتَى بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَقَالُ: اعْرِضُوا عَلَيْهِ صِغَارَ ذُنُوبِهِ، وَيُجَبَّأُ عَنْهُ كِبَارُهَا، فَيَقَالُ لَهُ: عَمِلْتَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا وَهُوَ مُقَرَّرٌ لَا يُنْكِرُ وَهُوَ مُشْفِقٌ مِنْ كِبَارِهَا، فَيَقَالُ أَعْطُوهُ مَكَانَ كُلِّ سَيِّئَةٍ عَمِلَهَا حَسَنَةً، فَيَقُولُ إِنَّ لِي ذُنُوبًا لَا أَرَاهَا هَهْنَا» ٢ .

الله سبحانه وتعالى رؤوفٌ رحيمٌ بعباده، وقد وسعت رحمته كلَّ شيءٍ، وفي هذا الحديث يقول النبي صلى الله عليه وسلم: "إِنِّي لَأَعْلَمُ آخِرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولًا الْجَنَّةَ، وَآخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا مِنْهَا"، أي: أعلمُ صِفَةَ عَمَلِهِ وما سيحدثُ معه.

وهو: "رجلٌ يُؤْتَى به يومَ القيامةِ، فيقالُ: اعْرِضُوا عَلَيْهِ صِغَارَ ذُنُوبِهِ"، أي: أظهروا أمامه صِغَارَ ذُنُوبِهِ وَأَرْوَاهُ إِيَّاهَا.

"وَارْفَعُوا عَنْهُ كِبَارَهَا"، أي: وَأَخْفُوا كِبَارَ ذُنُوبِهِ؛ وذلكَ لِحِكْمَةٍ يَعْلَمُهَا اللَّهُ، فَتُعْرَضُ عَلَيْهِ صِغَارُ ذُنُوبِهِ كَمَا فَعَلَهَا بِالْكَفِيفَةِ وَالتَّارِيخِ، فَيَقْرَأُ بِهَا وَلَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُنْكِرَهَا.

١ [رواه البخاري (٧٤٣٧) ، ومسلم (١٨٢)].

٢ [مخ: تنصير الشفاء ل: (٣٨٢٠)].

"وَهُوَ مُشْفِقٌ مِنْ كِبَارِ ذُنُوبِهِ أَنْ تُعْرَضَ عَلَيْهِ"، أي: وهو خائفٌ من أن تُعرضَ عليه الذنوبُ الكبارُ؛ وذلك لتوقعه العقابَ عليها، فيدركه الله برحمته.

فيقالُ له: "فَإِنَّ لَكَ مَكَانَ كُلِّ سَيِّئَةٍ حَسَنَةً"، أي: لك أن تُبدَلَ ذُنُوبُكَ الصِّغَارُ حَسَنَاتٍ بِرَحْمَةِ اللَّهِ، فإذا بالعبدِ الذي كان خائفًا من عَرْضِ ذُنُوبِهِ الكبارِ يُقَرُّ بها دون أن تُعرضَ عليه؛ رغبةً وطمعًا في رحمةِ اللَّهِ أن تُبدَلَ هي الأخرى إلى حَسَنَاتٍ؛ ولذلك ضحكَ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى بدَتْ نواجِذُهُ، أي: أنيابه وضروسه، وهو كنايةٌ عن شِدَّةِ الضَّحِكِ من هذه الحالِ التي ذَكَرَهَا.

وفي الحديث: بيانٌ عظيمٌ رحمةِ اللَّهِ بعباده^١.

يذكر هذا الرجلُ الربَّ جَلَّالَهُ بِذُنُوبِهِ!، وهو سبحانه أعلمُ بها، كان خائفًا منها؛ لكنه لما علم بسعة رحمةِ اللَّهِ ولطفه بأن بَدَلَ مكان كل سيئةٍ حسنةً، يقر بذُنُوبِهِ الكبارِ حتى تبدل هي الأخرى لن نعدم من رب كريم، لطيف، رحيم سبحانه وتعالى جَلَّالَهُ.

٢: ضحكهُ - ﷺ - جرير بن عبد الله رضي الله عنه:

عن جرير بن عبد الله - رضي الله عنه - قال: "مَا حَجَبَنِي رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - مُنْذُ أَسْلَمْتُ وَلَا رَأَيْتُ إِلَّا ضَحِكًا"^٢.

وعنه أنه قال أيضا: "مَا حَجَبَنِي رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - وَلَا رَأَيْتُ مُنْذُ أَسْلَمْتُ إِلَّا تَبَسَّمَ"^٣.

لم تمنعه مكانته من التودد لأصحابه، تأليفاً لقلوبهم، ولإدخال السرور عليها، يقول جرير رضي الله عنه: "وَلَا رَأَيْتُ إِلَّا ضَحِكًا"، الله أكبر، يتبسّم في وجهه كل ما رآه، ودعا له "اللَّهُمَّ ثَبِّتْهُ وَاجْعَلْهُ هَادِيًا مَهْدِيًا"، السماحة والبشاشة مطلوبة، هي أسباب السعادة، ومن أحب الأعمال إلى الله سرور تدخله على أخيك المسلم، الابتسامة والبشاشة من أنواع الصدقات التي يؤجر عليها الإنسان، تبسمك في وجه أخيك صدقة".

[١] الدرر السنة].

[٢] صحيح الترمذي: ٣٨٢٠].

[٣] صحيح الترمذي: ٣٨٢١].

وهل تكلف الابتسامة مالا؟ فلساً واحداً؟ حتى نشح بها! نعم؛ لا نشترى بها خبزاً ولكن نشترى بها قلوباً.

و قال ﷺ: " إِنَّكُمْ لَنْ تَسْعُوا النَّاسَ بِأَمْوَالِكُمْ وَلَكِنْ يَسْعُهُمْ مِنْكُمْ بَسْطُ الْوَجْهِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ "¹.
الرسول ﷺ كان دائم البشر ، أكثر الناس تبسماً، قال عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ جَزْءٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "مَا رَأَيْتُ أَحَدًا كَانَ أَكْثَرَ تَبَسُّمًا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ"².

هذه العبادة السهلة البسيطة، التي هجرها الناس إلا من رحم ربي، قبل حاجتنا لها لتكثر الحسنات منها يحتاجها الصغير والكبير، يحتاجها الزوج وتحتاجها الزوجة، يحتاجها الوالدين منا، يحتاجها الأقارب والأصحاب، "تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ صَدَقَةٌ"³، هي من الصالحات: قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾⁴، سبب في المحبة بين الناس، الابتسامة عبادة وصدقة، ومن المعروف الذي يذكرنا به نبينا مُحَمَّدٌ -ﷺ-: "لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْءٌ وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهِ طَلِقٍ"⁵.

وأوصى ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ابنه فقال: "يَا بُنَيَّ إِنْ الْبَرَّ شَيْءٌ هَيِّنٌ وَجْهِ طَلِيقٌ وَكَلَامٌ لَيِّنٌ"، ما أكثر ما فرطنا في هذه العبادة وما أكثر ما بخلنا على أنفسنا من هذه الصدقة".

٣: ضحكك -ﷺ- لآخر رجل يخرج من النار ويدخل الجنة:

عن عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- قال: "قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- : "إِنِّي لَأَعْرِفُ آخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا، رَجُلٌ يَخْرُجُ مِنْهَا زَحْفًا فَيُقَالُ لَهُ انْطَلِقْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ"، قَالَ: فَيَذْهَبُ لِيَدْخُلَ الْجَنَّةَ فَيَجِدَ النَّاسَ قَدْ أَخَذُوا الْمَنَازِلَ، فَيَرْجِعُ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ قَدْ أَخَذَ النَّاسُ الْمَنَازِلَ".
فَيُقَالُ لَهُ: "أَتَذْكُرُ الزَّمَانَ الَّذِي كُنْتَ فِيهِ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، قَالَ: فَيُقَالُ لَهُ تَمَنَّ"، قَالَ: "فَيَتَمَنَّى

¹[الترغيب والترهيب: ٣/٣٥٨].

²[رواه الإمام أحمد في "المسند" (٢٩٠/٢٤٥)، وحسنه المحققون].

³[رواه الترمذي: (١٩٥٦)].

⁴[مريم: ٩٦].

⁵[رواه مسلم: (٢٦٢٦)].

فَيَقُولُ لَهُ فَإِنَّ لَكَ الَّذِي تَمَنَيْتَ وَعَشْرَةُ أَضْعَافِ الدُّنْيَا، قَالَ: فَيَقُولُ: "تَسْخَرُ بِي وَأَنْتَ الْمَلِكُ"، قَالَ: "فَلَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ"^١.

وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - قَالَ: «أَخْرُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ رَجُلًا، فَهُوَ يَمْشِي مَرَّةً وَيَكْبُو مَرَّةً، وَتَسْفَعُهُ النَّارُ مَرَّةً، فَإِذَا مَا جَاوَزَهَا التَّفَّتْ إِلَيْهَا، فَقَالَ: تَبَارَكَ الَّذِي نَجَّانِي مِنْكَ، لَقَدْ أَعْطَانِي اللَّهُ شَيْئًا مَا أَعْطَاهُ أَحَدًا مِنَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، فُتْرِفَعُ لَهُ شَجَرَةٌ، فَيَقُولُ: أَيُّ رَبِّ أَذْنِي مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ فَلَا سِتْظِلَّ بِظِلِّهَا وَأَشْرَبَ مِنْ مَائِهَا، فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: يَا ابْنَ آدَمَ لَعَلِّي إِنْ أَعْطَيْتُكَهَا سَأَلْتَنِي غَيْرَهَا، فَيَقُولُ: لَا، يَا رَبِّ وَبِعَاهِدِهِ أَنْ لَا يَسْأَلُهُ غَيْرَهَا، وَرُبُّهُ يَعْذِرُهُ، لِأَنَّهُ يَرَى مَا لَا صَبْرَ لَهُ عَلَيْهِ، فَيُذْنِبُهُ مِنْهَا، فَيَسْتِظِلُّ بِظِلِّهَا وَيَشْرَبُ مِنْ مَائِهَا، ثُمَّ تُرْفَعُ لَهُ شَجَرَةٌ هِيَ أَحْسَنُ مِنَ الْأُولَى، فَيَقُولُ: أَيُّ رَبِّ أَذْنِي مِنْ هَذِهِ لِأَشْرَبَ مِنْ مَائِهَا وَأَسْتِظِلَّ بِظِلِّهَا، لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهَا، فَيَقُولُ: يَا ابْنَ آدَمَ أَلَمْ تُعَاهِدْنِي أَنْ لَا تَسْأَلَنِي غَيْرَهَا؟، فَيَقُولُ: لَعَلِّي إِنْ أَدْنَيْتُكَ مِنْهَا تَسْأَلَنِي غَيْرَهَا؟، فَيُعَاهِدُهُ أَنْ لَا يَسْأَلُهُ غَيْرَهَا، وَرُبُّهُ يَعْذِرُهُ، لِأَنَّهُ يَرَى مَا لَا صَبْرَ لَهُ عَلَيْهِ فَيُذْنِبُهُ مِنْهَا. فَيَسْتِظِلُّ بِظِلِّهَا وَيَشْرَبُ مِنْ مَائِهَا، ثُمَّ تُرْفَعُ لَهُ شَجَرَةٌ عِنْدَ بَابِ الْجَنَّةِ هِيَ أَحْسَنُ مِنَ الْأُولَيَيْنِ، فَيَقُولُ: أَيُّ رَبِّ أَذْنِي مِنْ هَذِهِ لِأَسْتِظِلَّ بِظِلِّهَا وَأَشْرَبَ مِنْ مَائِهَا، لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهَا. فَيَقُولُ: يَا ابْنَ آدَمَ أَلَمْ تُعَاهِدْنِي أَنْ لَا تَسْأَلَنِي غَيْرَهَا؟ قَالَ: بَلَى، يَا رَبِّ هَذِهِ لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهَا. وَرُبُّهُ يَعْذِرُهُ لِأَنَّهُ يَرَى مَا لَا صَبْرَ لَهُ عَلَيْهِ. فَيُذْنِبُهُ مِنْهَا، فَإِذَا أَدْنَاهُ مِنْهَا، فَيَسْمَعُ أَصْوَاتَ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيَقُولُ: أَيُّ رَبِّ أَدْخَلْنِيهَا، فَيَقُولُ: يَا ابْنَ آدَمَ مَا يَصْرِي بِي مِنْكَ؟ أَيْرْضِيكَ أَنْ أُعْطِيَكَ الدُّنْيَا وَمِثْلَهَا مَعَهَا؟ قَالَ: يَا رَبِّ أَتَسْتَهْزِئُ مِنِّي وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ»، فَضَحِكَ ابْنُ مَسْعُودٍ فَقَالَ: أَلَا تَسْأَلُونَنِي مِمَّ أَضْحَكُ؟ فَقَالُوا: مِمَّ تَضْحَكُ؟ قَالَ: هَكَذَا ضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ. فَقَالُوا: مِمَّ تَضْحَكُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «مِنْ ضَحِكِ رَبِّ الْعَالَمِينَ حِينَ قَالَ: أَتَسْتَهْزِئُ مِنِّي وَأَنْتَ رَبُّ

^١ [أخرجه البخاري ومسلم].

[أخرجه البخاري ومسلم].

[النواجز: الأضراس].

[أخرجه البخاري ومسلم].

الْعَالَمِينَ؟ فَيَقُولُ: إِنِّي لَا أَسْتَهْزِئُ مِنْكَ، وَلَكِنِّي عَلَى مَا أَشَاءُ قَادِرٌ» وفي رواية: « فَيَذْهَبُ فَيَدْخُلُ الْجَنَّةَ. فَيَجِدُ النَّاسَ قَدْ أَخَذُوا الْمَنَازِلَ. فَيُقَالُ لَهُ: أَتَذْكُرُ الزَّمَانَ الَّذِي كُنْتَ فِيهِ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ. فَيُقَالُ لَهُ: تَمَنَّ. فَيَتَمَنَّى. فَيُقَالُ لَهُ: لَكَ الَّذِي تَمَنَيْتَ وَعَشْرَةُ أَضْعَافِ الدُّنْيَا »^١.
ورواه أبو سعيد رضي الله عنه ، فقال: "سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يقول: هَذَا لَكَ وَعَشْرَةُ أَمْثَالِهِ"^٢.

ففي هذه الأحاديث بيان فضل الله تعالى وسعة عطائه، فهذا الرجل آخر من يدخل الجنة وأدناهم منزلة ومع ذلك أعطاه الله تعالى عشرة أضعاف الدنيا -بما فيها- من أموال الدنيا وقصورها، من ذهب الدنيا وجواهرها، طاش عقله من سعة عطاء ربه، حتى قال: "أَتَسَخَّرُ بِي أَوْ أَتَضَحَّكُ بِي وَأَنْتَ الْمَلِكُ؟"، وفي الرواية الأخرى "أَتَسْتَهْزِئُ مِنِّي وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ".

قال القرطبي رحمه الله: "يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ هَذَا الْقَوْلُ صَدْرَ مِنْ هَذَا الرَّجُلِ عِنْدَ غَلْبَةِ الْفَرَحِ عَلَيْهِ، وَاسْتِخْفَافِهِ إِيَّاهُ، فَغَلَطَ كَمَا غَلَطَ الَّذِي، قَالَ: "اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ"، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ مَعْنَاهُ: أَتَجَازِينِي عَلَى مَا كَانَ مِنِّي فِي الدُّنْيَا مِنَ الْاسْتَهْزَاءِ وَالسَّخَرَةِ بِأَعْمَالِي وَقِلَّةِ احْتِفَالِي بِهَا، فَيَكُونُ هَذَا عَلَى جِهَةِ الْمُقَابَلَةِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى".

وقال القاضي عياض رحمه الله: "هَذَا كَلَامُ صَدْرَ مِنْ هَذَا الرَّجُلِ وَهُوَ غَيْرُ ضَابِطٍ لِمَا قَالَهُ، لِمَا نَالَهُ مِنَ السَّرُورِ بَبُلُوغٍ مَا لَمْ يَخْطُرُ بَبَالِهِ فَلَمْ يَضْبُطْ لِسَانَهُ دَهْشاً وَفَرَحاً، فَقَالَهُ وَهُوَ لَا يَعْتَقِدُ حَقِيقَةَ مَعْنَاهُ، وَجَرَى عَلَى عَادَتِهِ فِي الدُّنْيَا فِي مَخَاطَبَةِ الْمَخْلُوقِ"^٣.

ضحك الله من قول هذا الرجل، فيه أيضاً دليل على إثبات صفة الضحك لله تعالى، أجمع السلف رحمهم الله على إثبات صفة الضحك لله تعالى على الوجه اللائق به سبحانه، وكما ضحك سبحانه من الرجلين من حديث أبو هريرة رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: "يَضْحَكُ اللَّهُ إِلَى رَجُلَيْنِ يَقْتُلُ أَحَدُهُمَا الْآخَرَ، كِلَاهُمَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ"^٤.

لن نعدم من رب يضحك؛ ولن نعدم من رب كريم، فقد ورد أيضاً في صحيح مسلم أيضاً أنه يقول عن هذا الرجل الذي يخرج منها زحفاً من النار، فيقال له: "انْطَلِقْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ"، قال: "فَيَذْهَبُ

١ [أخرجه مسلم ١٨٧].
٢ [رواه البخاري: ٦٥٧٤، ومسلم: ٤٨٢].
٣ [شرح مسلم ٣/ ٤٠].
٤ [متفق عليه].

فَيَدْخُلُ الْجَنَّةَ فَيَجِدُ النَّاسَ قَدْ أَخَذُوا الْمَنَازِلَ"، فيقال له: "أتذكر الزمان الذي كنت فيه؟" فيقول: "نَعَمْ"، فيقال له: فمن؟ فيتمنى، فيقال له: "لَكَ الَّذِي تَمَنَيْتَ وَعَشْرَةَ أَضْعَافِ الدُّنْيَا"^١.

يقال للرجل في الجنة تمنى، تمنى أي شيء، أي نعيم تريد، فيتمنى ما يريد من أنواع النعيم، فيقال له: "لَكَ الَّذِي تَمَنَيْتَ وَعَشْرَةَ أَضْعَافِ الدُّنْيَا، فَلَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - ضَحَكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ، ضَحَكَ الرَّسُولُ ﷺ وهو يروي الحديث للصحابه، "حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ"، أي: ظهرت أواخر أضراسه أو أنيابه"^٢.

تسكب الدموع من تخيلنا للنبي ﷺ وهو يضحك ﷺ، فكيف برؤيتنا له ﷺ ضحاكاً يوم القيامة! والله نتشوق لرؤيته ﷺ ونسأل المولى أن يحشرنا بزمرة ﷺ، نعانقه ونتحدث معه ونشرب من حوضه ﷺ.

وإذا الدموع تسكب لمجرد تخيلنا لرؤية الرسول ﷺ فكيف برؤية الرب ﷻ عندما يتجلى لنا بنوره ﷻ، فعَنْ صُهَيْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟ فَيُكْشَفُ الْحِجَابُ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ"^٣.

قال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ ﴿١﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ ﴿٢﴾﴾، ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ﴾ يعني من البهاء والحسن والنضارة والجمال، ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾ تنظر إلى وجهه الكريم، ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾^٤، للذين أحسنوا في الدنيا الحسنى وهي الجنة، والزيادة وهي النظر إلى وجه الله جل وعلا"^٥. يعطي سبحانه أهل الجنة بفضله وكرمه وجوده وعطائه ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على

١ [رواه مسلم: ٤٨٠].

٢ [انظر النهاية والقاموس المحيط و الوسيط (ن ج د)].

٣ [رواه مُسْلِمٌ].

٤ القيامة: ٢٢، ٢٣.

٥ [يونس: ٢٦].

٦ [ابن باز].

قلب بشر وأعظم من ذلك كله يمن عليهم برؤيته ﷺ، رؤية ظاهرة حقيقية، أهل الجنة يرونه جل وعلا كلما شاء سبحانه وتعالى، وأعلاهم منزلة من يرى وجه ربه بكرة وعشيًا.

نسأل الله أن يجعلنا منهم، نسأل الله أن يوفقنا للصالحات التي بسببها نكون منهم، نسأل الله أن يعاملنا بما هو أهل له، وأن يتغمدنا بإحسانه وأن لا يحرمنا رؤيته ووالدينا وذرياتنا وأزواجنا.

٤: ضحكك - ﷺ - من نساء قريش اللاتي تبادرن الحجاب هيبة من عمر.

عن محمد بن سعد، عن أبيه قال: "استأذن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - على رسول الله - ﷺ - ، وعنده نسوة من قريش يسألنه ويستكثرنه، عالية أصواتهن على صوته، فلما استأذن عمر تبادرن الحجاب، فأذن له النبي - ﷺ - فدخل والنبي - ﷺ - يضحك. فقال: "أضحك الله سنك يا رسول الله بإبي أنت وأمي؟"، فقال: "عجبت من هؤلاء اللاتي كن عندي، لما سمعن صوتك تبادرن الحجاب"، فقال: "أنت أحق أن يهبن يا رسول الله". ثم أقبل عليهن فقال: "يا عدوات أنفسهن، أتهبنني ولم تهبن رسول الله - ﷺ - ؟"، فقلن: "إنك أفظ وأغلظ من رسول الله - ﷺ -"، قال رسول الله - ﷺ -: «إيه يا ابن الخطاب، والذي نفسي بيده، ما لقيك الشيطان سالكا فجا إلا سلك فجا غير فحك»^١.

في هذا الحديث أنه كان عند النبي صلى الله عليه وسلم نساء من قريش هن من أزواجه يكلمنه ويستكثرنه، أي: يطلبن زيادة في التفقة، كن يكلمنه بأصوات عالية، فاستأذن عمر بن الخطاب رضي الله عنه في الدخول على النبي صلى الله عليه وسلم فقام النسوة يبتدرن الحجاب، أي: يتسارعن إلى الاستتار عن عمر رضي الله عنه، فلما رأى النبي صلى الله عليه وسلم فعلهن ضحك، فقال له عمر رضي الله عنه: "أضحك الله سنك يا رسول الله، وهو دعاء بملازمة الضحك والسُرور، فقال صلى الله عليه وسلم: «عجبت من هؤلاء اللاتي كن عندي، فلما سمعن صوتك ابتدرن الحجاب»، يعني: كن يرفعن أصواتهن في الحديث معي، فلما أتيت أنت سارعوا إلى الاستتار؛ خشية منك... قال لهم

١ [البخاري: (٦٠٨٥)].

عمر: "تَهْبَنِي وَلَا تَهْنِ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟! قُلْنَ: نعم، أَنْتَ أَفْظُ وَأَغْلَظُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَلِيمًا رَوْوْفًا"^١.

كانت شخصيته ﷺ قوية، وكان حازماً، وله هيبَةٌ بين الناس، كان قوياً قبل إسلامه وبعده، خرج يوماً عازماً على قتل رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فصادفه رجلٌ في طريقه أخبره بأنَّ أخته قد أسلمت، فانطق إليها غاضباً، وعندما وصل إليها إذ بها تقرأ آياتٍ من سورة طه، فتأكد من إسلامها، وضربها على وجهها وزوجها وأدمى وجهها، وسقطت من يدها صحيفة أراد أن يقرأ ما فيها لكنها منعتة؛ وأمرته أن يغتسل أولاً ففعل، حتى قرأ قوله تعالى: ﴿طه (١) مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى (٢) إِلَّا تَذَكُّرٌ لِمَنْ يَخْشَى (٣) تَنْزِيلًا مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى (٤) الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى (٥) لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى (٦)﴾^٢، فقرأ من سورة طه حتى قوله -عز وجل-: ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾^٣، فانطلق عمر بن الخطَّاب -رضي الله عنه- إلى مكان تواجد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وأعلن إسلامه وتوحيده لله -تعالى-، وبأنَّ محمداً عبد الله ورسوله، كبر رسول الله وكبر من كان معه وسمع التكبير أهل المسجد فرحاً بإسلامه.

وأعلن إسلامه وكان عمره ستة وعشرين أو سبعة وعشرين عاماً، وكان إسلامه فتحاً للمسلمين، كان طويل القامة، كان يبدو راكباً وهو يمشي من طوله ﷺ، كان غيوراً ﷺ، ورد في الصحيح عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: "بَيْنَمَا أَنَا نَائِمٌ، رَأَيْتُنِي فِي الْجَنَّةِ، فَإِذَا امْرَأَةٌ تَتَوَضَّأُ إِلَى جَانِبِ قَصْرِ، قُلْتُ: لِمَنْ هَذَا الْقَصْرُ؟ قَالُوا: لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، فَذَكَرْتُ غَيْرَتَهُ فَوَلَّيْتُ مُدْبِرًا..."^٤. وعده بالجنة، لِمَنْ هَذَا الْقَصْرُ؟ قَالُوا: لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ.

١ [الدرر السينة].

٢ [طه: ١ - ٦].

٣ [طه: ١٤].

٤ [صحيح البخاري: ٧٠٢٣].

ومع شدته وقوته، إلى أنه كان إذا صلى في أول الصف يسمع نسيجه من كان في آخر الصف، كان يقول: "يا لَيْتَنِي كُنْتُ شَعْرَةً فِي جَنْبِ عَبْدٍ مُؤْمِنٍ، يَا لَيْتَنِي كُنْتُ شَجَرَةً تُعْضَدُ" "ليتني كنت نسيا منسيا".

وَلَمَّا طَعَنَ وَحُمِلَ إِلَى بَيْتِهِ، وَكَانَتْ يَغْشَى عَلَيْهِ وَيَفُوقُ، فَعُشِيَ عَلَيْهِ، فَوَضَعَ وَلَدَهُ عَبْدُ اللَّهِ رَأْسَهُ فِي حَجَرِهِ، فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ: وَيْحَكَ،،، ضَعْ حَدِيدِي عَلَى الْأَرْضِ، عَسَى أَنْ يَرَى دُلِّيَ فَيَرْحَمَنِي. يَقُولُ الْحَذِيفَةُ ابْنُ الْيَمَانِ-صَاحِبُ سِرِّ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وَقَدْ أَخْبَرَهُ بِالْمُنَافِقِينَ وَاسْتَأْمَنَهُ عَلَى مَا أَخْبَرَهُ بِهِ؛ فَيَقُولُ لَهُ عُمَرُ: نَشَدْتُكَ بِاللَّهِ يَا حَذِيفَةُ أَذْكَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ فِي مَنْ ذَكَرَ؟ يَعْنِي: فِي الْمُنَافِقِينَ نِفَاقًا أَكْبَرَ!

عُمَرُ يَخْشَى هَذِهِ الْحَشِيَّةَ، وَيُوجَلُّ هَذَا الْوَجَلُّ، وَيُشْفَقُ هَذَا الْإِشْفَاقُ؛ وَأَنَا وَأَنْتَ، كَأَنَّنا وَقَدْ ضَمْنَا لَنَا الْجَنَّةَ فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُوقِظَنَا مِنْ غَفَوَتِنَا وَمِنْ سُبَاتِنَا.

تعلق قلبه بالصلاة فمن عجيب موافقه، عند وفاته لما كبر بالناس في المسجد طعنه المجوسي أبو لؤلؤة بسكين مسمومة، وجأة في كتفه، ووجأة في خاصرته، فسقط عمر، تناول عمر يد عبد الرحمن بن عوف فقدمه -للصلاة بالناس، والعجيب ماذا قال في هذه اللحظات العصبية التي تطيش فيها العقول؟ قال عمرو بن ميمون رحمه الله: سمعته لما طعن يقول: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا﴾^١

ثم حمل ﷺ إلى بيته ينزف دماً، واشتد عليه المرض وكان يغشى ويفيق، لما أفاق قال: أصلى الناس؟ وفي مرة قال لابنه عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما: انطلق إلى عائشة أم المؤمنين فقل، يقرأ عليك عمر السلام، ولا تقل أمير المؤمنين، فإني لست اليوم للمؤمنين أميراً، وقل يستأذن عمر بن الخطاب أن يبقى مع صاحبيه، فسلم عبد الله بن عمر، واستأذن ثم دخل عليها فوجدها تبكي، فقال: يقرأ عليك عمر بن الخطاب السَّلام، ويستأذن أن يدفن مع صاحبيه، فقالت: كنت أريده لنفسِي، ولأوثرته به اليوم على نفسي، فلما أقبل، قيل: هذا عبد الله بن عمر قد جاء، قال: ارفعوني - يكاد

قلبه ينخلع من مكانه من انتظار الجواب، فأسندته رجل إليه فقال: ما لديك؟ قال: الذي تحب يا أمير المؤمنين، أذنت، قال: "الحمد لله، ما كان من شيءٍ أهما إليَّ من ذلك"^١.

● اللحظات الأخيرة من حياة عمر:

هذا عثمان رضي الله عنه يحدثنا عن اللحظات الأخيرة حياته، قال: دخلت عليه، ورأسه في حجر ابنه عبد الله بن عمر فقال له: ضع خدي بالأرض، قال: فهل فخذني والأرض إلا سواء؟ قال ضع خدي بالأرض لا أم لك، في الثانية أو في الثالثة، ثم شبك بين رجليه، فسمعتة يقول: ويلي، وويل أُمي إن لم يغفر الله لي حتى فاضت روحه، كان آخر كلامه الدعاء على نفسه بالويل إن لم يغفر الله جل وعلا له، مع أنه أحد العشرة المبشرين بالجنة، ولكن من كان بالله أعرف كان من الله أخوف، وإصراره على أن يضع ابنه خده على الأرض من باب إذلال النفس في سبيل تعظيم الله عز وجل، ليكون ذلك أقرب لاستجابة دعائه^٢.

وهذا ابن عباس رضي الله عنه يصف لنا اللحظات الأخيرة في حياة عمر رضي الله عنه حيث يقول: دخلت على عمر حين طعن، فقلت: "أبشِّر بِالْجَنَّةِ، يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَسَلَمْتَ حِينَ كَفَرَ النَّاسُ، وَجَاهَدْتَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حِينَ خَذَلَهُ النَّاسُ، وَقَبِضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ عَنْكَ رَاضٍ، وَلَمْ يَخْتَلَفْ فِي خِلَافَتِكَ اثْنَانِ، وَقُتِلْتَ شَهِيدًا"، فقال عمر: "أعد عليّ، فأعدت عليه"، فقال: "والله الذي لا إله إلا هو، لو أن لي ما في الأرض من صفراء وبيضاء لافتديت به من هول المطلق".

وجاء في البخاري: أما ما ذكرت من صحبة رسول الله ﷺ ورضاه، فإن ذلك من الله جل ذكره من به علي، وأما ما ترى من جزعي فهو من أجلك وأجل أصحابك، والله لو أن لي طلاع الأرض ذهبًا لافتديت به من عذاب الله عز وجل قبل أن أراه.

كان عمر رضي الله عنه يخاف هذا الخوف العظيم من عذاب الله تعالى مع أن النبي ﷺ شهد له بالجنة، فما بالنا لا نخاف نحن المساكين، ما بالنا ونحن قد أمانا من مكر الله، نسأل الله أن يحيي قلوبنا.

^١[البخاري فضائل الصحابة].

^٢[البخاري، ك فضائل الصحابة، رقم ٣٦٩٢. صحيح التوثيق في سيرة وحياة الفاروق ص ٣٨٣. التاريخ الإسلامي) ٣٣/١٩، ٤٤ - ٤٥].

من أقواله المشهورة الدالة على عدله، "لَوْ مَاتَتْ شَاةٌ عَلَى شَطْرِ الْفُرَاتِ ضَائِعَةً لَطَنَنْتُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى سَائِلِي عَنْهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ".

من أقواله المشهورة عن حسن الظن بربه: "إِنِّي لَا أَحْمِلُ هَمَّ الْإِجَابَةِ وَلَكِنِّي أَحْمِلُ هَمَّ الدُّعَاءِ".

من أقواله المشهورة: "كُلَّ يَوْمٍ يُقَالُ: مَاتَ فُلَانٌ وَفُلَانٌ، وَلَا بَدَّ مِنْ يَوْمٍ يُقَالُ فِيهِ: مَاتَ عُمَرُ".

قتل عمر رضي الله عنه وهو ابن ثلاث وستين وكان مقتله خسرانا كبيرا على الإسلام، رضي الله عنه وأرضاه وجمعنا الله وإياه في الجنة.

٥: ضحكته - رضي الله عنه - على أصحابه بالطائف:

● عن أبي العباس، عن عبد الله بن عمر قال: "لَمَّا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - بِالطَّائِفِ قَالَ: «إِنَّا قَافِلُونَ غَدًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ». فَقَالَ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - : "لَا نَبْرُحُ أَوْ نَفْتَحُهَا"، فَقَالَ النَّبِيُّ - صلى الله عليه وسلم - : «فَاعْذُوا عَلَى الْقِتَالِ». قَالَ: فَعَدَّوْا فَقَاتَلُوهُمْ قِتَالًا شَدِيدًا، وَكَثُرَ فِيهِمُ الْجِرَاحَاتُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - : «إِنَّا قَافِلُونَ غَدًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ». قَالَ: فَسَكَتُوا، فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - ^(٢).

ضَحِكَ النَّبِيُّ - صلى الله عليه وسلم - فَكَانَ رَأْيُهُ الْأَوَّلُ خَيْرَ مِنْ رَأْيِهِمْ لَكِنْ هَذِهِ عَادَةُ النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - يَعْطِيهِمْ بَعْضَ الشَّيْءِ الَّذِي يَرِيدُونَ حَتَّى يَعْرِفُوا أَنَّ رَأْيَهُ هُوَ الصَّوَابُ، وَمِثْلُ ذَلِكَ لَمَّا نَهَاهُمْ عَنِ الْوَصَالِ فَقَالُوا: إِنَّكَ تَوَاصَلُ فَوَاصِلَ بِهِمْ يَوْمًا وَيَوْمًا وَيَوْمًا حَتَّى دَخَلَ الشَّهْرُ شَوَّالَ فَقَالَ: "لَوْ تَأَخَّرَ الْهَلَالُ لَزِدْتُمْ"، فَمَكَّنَهُمْ مِنَ الْوَصَالِ مَعَ أَنَّهُ مَنَهِى عَنْهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ أَنَّ الْحِكْمَةَ فِيَمَا نَهَاهُمْ عَنْهُ، وَهُوَ الْوَصَالُ الْحِكْمَةُ فِي تَرْكِ الْوَصَالِ، هَذَا أَيْضًا مِثْلُهُ لَمَّا قَالَ: "إِنَّا قَافِلُونَ قَالُوا نَقْفِلُ وَلَمْ نَفْتَحْ" فَتَرْكُهُمْ فَلَمَّا أَصِيبُوا بِالْجِرَاحِ قَالَ إِنَّا قَافِلُونَ فَأَعْجَبَهُمُ الْأَمْرُ فَتَبَسَّمَ النَّبِيُّ - صلى الله عليه وسلم - وَقَفَلَ^١.

^١[نور على الدرب].

■ قال الشيخ عبد المحسن العباد -حفظه الله:-

"بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى اله وأصحابه أجمعين. أما بعد:

فهذا الحديث يتعلق بالطائف وغزوة الطائف وأن الرسول -عليه الصلاة والسلام- حاصر أهل الطائف يعني مدة فلم يحصل شيئاً، يعني يكون فيه فصل بينه وبينهم فالرسول -عليه الصلاة والسلام- أشفق على أصحابه ورأى أن بقاءهم مدة طويلة دون أن يحصل منهم شيء، يريدون أن يحصل لهم شيء، فرأى من النصيحة لهم والرفق بهم أنهم ينصرفون ويرجعون مرة أخرى فلم يعجبهم هذا، وقالوا ننصرف ولم نصنع شيئاً، فقال: اغدوا على القتال، فغدوا على القتال ولكن أصابهم جراحات وتأثروا واكتووا بنار الحرب، فالرسول -عليه الصلاة والسلام- لأجل الرفق بهم قال لهم إنا منصرفون غداً ففرحوا، وفرحوا لذلك والرسول -عليه الصلاة والسلام- ضحك، لكونهم في الأول يعني تأخروا عن الموافقة، وعن الرغبة في الانصراف، ولما أصابتهم الجراحات انصرفوا أو أبدوا رغبتهم في الانصراف وفرحهم بذلك. والرسول -عليه الصلاة والسلام- يعني أراد في الأول أن يرفق بأصحابه وأن يرجعوا مرة أخرى، ولأنه رأى منهم عدم الرغبة في الانصراف قال: اغدوا، فصار بينهما قتال فأصاب أصحابه جراحات فبعد ذلك قال إنا منصرفون فسرّوا بذلك وفرحوا"^١.

٦ : ضحكك -ﷺ- على قول السائل: من أفقر مني يا رسول الله!

عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: "أَتَى رَجُلٌ النَّبِيَّ -ﷺ- فَقَالَ: هَلَكْتُ، وَقَعْتُ عَلَى أَهْلِي فِي رَمَضَانَ، قَالَ: «أَعْتَقَ رَقَبَةً». قَالَ: لَيْسَ لِي، قَالَ: «فَصُمْ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ». قَالَ: لَا أَسْتَطِيعُ، قَالَ: «فَأَطْعِمْ سِتِّينَ مِسْكِينًا» قَالَ: لَا أَجِدُ، فَأُتِيَ بِعَرَقٍ فِيهِ تَمْرٌ -قَالَ إِبْرَاهِيمُ: الْعَرَقُ الْمِكْتَلُ-، فَقَالَ:

^١ [شرح صحيح مسلم للشيخ عبد المحسن العباد حفظه الله].

^٢ [شرح كتاب التوحيد].

«أَيُّ السَّائِلِ، تَصَدَّقْ بِهَا». قَالَ: عَلَى أَفْقَرِ مَيِّ، وَاللَّهِ مَا بَيْنَ لَابَتَيْهَا أَهْلَ بَيْتٍ أَفْقَرُ مِنَّا، فَضَحِكَ النَّبِيُّ ﷺ - حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ، قَالَ: «فَإَنْتُمْ إِذَا»^١.

هذا الحديث فيه الكثير من الفوائد منها:

- الحديث فيه دلالة على عظم ذنب الجماع في نهار رمضان، فقد رتبت عليه الشريعة كفارة مغلظة.
- الحديث فيه جواز مساعدة الغير في كفارتهم، فالنبي ﷺ أعطى الرجل عَرَفًا لأجل أن يكفر عن ذنبه، (العَرَق): يساوي (١٥) صاعا، والصاع أربعة أمداد.
- الحديث أيضاً فيه أن الكفارة تخرج الإنسان من الذنب، وهذا من رحمة الله بعباده وكرمه عليهم.
- فيه دلالة على أن الشريعة الإسلامية قائمة على اليُسْر ورفع الحرج، وورد في ذلك الكثير من الآيات والأحاديث في مواطن كثيرة؛ يقول تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾^٢ ، ويقول سبحانه: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾^٣ ، ويقول: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾^٤.

- في الحديث التيسير والتخفيف عن العباد «أَعْتَقَ رَقَبَةً». قَالَ: لَيْسَ لِي، قَالَ: «فَصُمْ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ»، قَالَ: لَا أَسْتَطِيعُ، قَالَ: «فَاطْعِمُ سِتِّينَ مِسْكِينًا». وفوق ذلك أطعمه أهلك!.
- كما أن النبي ﷺ نهى عن التشدد الذي يسبب المشقة للناس، ففي الحديث: «وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ»^٥، ودعا النبي ﷺ صحابته لاتباع منهج التيسير على الناس، ومنها قوله لمعاذ بن جبل وصاحبه حينما أرسلهما إلى اليمن: «يَسِّرَا وَلَا تُعَسِّرَا، وَبَشِّرَا وَلَا تُنْفِرَا».

ماذا لو حصل معنا مثل هذا الموقف! الله أعلم أقل ما نقول له استحي على وجهك، تجماع عمداً في نهار رمضان وتأني وتقول ما أقدر! وما عندي! ولا أستطيع! هل سيرد في بالنا "أَطْعِمُهُ أَهْلَكَ"،

١ [أخرجه البخاري - باب التيسير والضحك].

[أخرجه البخاري برقم ٥٧٣٧].

٢ [الحج: ٧٨].

٣ [البقرة: ١٨٥].

٤ [النساء: ٢٨].

٥ رواه البخاري

ونضحك!.

- عدم تعنيف التائب، هذا الرجل جاء خائفاً من فعلته، "هَلَكْتُ" معترفاً بغلظه، طالباً من رسول الله أن يجد له مخرجاً من هذه المصيبة التي فعلها عمداً في نهار برمضان، فلم يزجره، أو يغلظه، ولم يلومه ولم يوبخه، بل دخل عليه السلام وأحضر ما يشبه الزنبيل مليء بالتمر وقال له أطعمه ستين مسكيناً، قال له هذا الرجل التائب ليس هناك من هو أفقر منه وأهله فضحك النبي ﷺ وقال: "فَأَنْتُمْ إِذَاً". فيه لطف النبي ﷺ ورحمته، وحسن خلقه وحكمته عليه السلام وما يتحلى به من مكارم الأخلاق، على هذا تظهر أهمية رافة العالم بالناس والدين معهم، واحتوائهم والاستماع لهم، بما في ذلك مع من وقع في الذنب وأسرف على نفسه بالمعاصي.

- وفي الحديث جواز إظهار المعصية لمن يرجو تخليصه منها، فالرجل أظهر معصيته وأمام الناس أيضاً فهذا ليس من المجاهرة بالمعصية، لأنه ما أظهرها إلا أنه يريد التخلص منها.

- في الحديث دلالة على أن المذنب عليه أن يتوب، عليه أن يندم من ذنوبه، ولهذا أتى الرجل نادماً فقال: "هَلَكْتُ" وهي كلمة تدل على ندمه وحرقة في قلبه، وفي رواية: "احترقت" لأن للذنوب حرارة عند المؤمن، وهكذا حال المؤمن يجب أن مع الذنوب، يشعر بأن ذنوبه تحرقه.

وهذا الشعور وهذا الإحساس هو الذي يجعل المؤمن كلما وقع في الذنب تاب وأتاب ورجع واستغفر، والله ﻋَﻠَﻴْهِ السَّلَام غافر الذنب قابل التوب سبحانه، ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَأَمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾ ، "التائب من الذنب كمن لا ذنب له"، "التوبة تجب ما قبلها"، ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَأَمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يَبْدِلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾، ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾.

٧: ضحكك - ﷺ - حلما على أعرابي.

عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: "كُنْتُ أَمْشِي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - وَعَلَيْهِ بُرْدٌ نَجْرَانِي غَلِيظُ الْحَاشِيَةِ، فَأَذْرَكَهُ أَعْرَابِيٌّ فَجَبَذَ بِرِدَائِهِ جَبْدَةً شَدِيدَةً"، قَالَ أَنَسٌ: "فَنَظَرْتُ إِلَى صَفْحَةِ عَاتِقِ النَّبِيِّ -

ﷺ - وَقَدْ أَثَرَتْ فِيهَا حَاشِيَةُ الرِّدَاءِ مِنْ جَبْدَتِهِ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ مُرِّي مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي عِنْدَكَ، فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ فَضَحِكَ، ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِعَطَاءٍ^١.

هذا الحديث فيه الشيء الكثير من الدروس الأخلاقية، فهو ﷺ مدرسة بالأخلاق الكريمة، صلوات ربي عليه وسلامه أفضل الصلوات والتسليمات، فيه صورة من صور حلو الرسول وعفوه، كان من أخلاق النبي - ﷺ - الحلم، والعفو، من صور العفو؛ عفوه ﷺ عمن جذبه من الأعراب، أتاه رجل من خلفه، أمسك برداء النبي ﷺ من الخلف بقوة، وجذبه، "جَبَدَ بِرِدَائِهِ جَبْدَةً شَدِيدَةً" شده بقوة شديدة، من الخلف وكان النبي ﷺ حينها مرتدياً بردة نجرانية - خشنة - بجذبه جبدة شديدة من قوتها أثرت على عتق الرسول ﷺ، وتركت أثر في عنق الرسول ﷺ، قَالَ أَنَسٌ: "فَنَظَرْتُ إِلَى صَفْحَةِ عَاتِقِ النَّبِيِّ - ﷺ - وَقَدْ أَثَرَتْ بِهَا حَاشِيَةُ الرِّدَاءِ مِنْ شِدَّةِ جَبْدَتِهِ"، وباليته اكتفى بذلك! ناداه باسم الرسول ﷺ فقط، يا محمد! لم يقل له يا رسول الله، يا نبي الله، يا محمد، لهجة جافة لا تناسب من كان ذا مكانة من البشر فما بالكم بأشرف الناس مكانة وأرفعهم منزلة!.

"مُرِّي مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي عِنْدَكَ"، فلسانُ حال هذا الأعراي يقول للنبي - الفضل والمنة لله لا لك! - ومع كل هذا الجفاء في القول والفعل يضحك النبي ﷺ في وجهه، ويأمر له بالعطاء ﷺ، الله أكبر، ما أحلمه والله، ".

إنما ضحك في وجه من أساء إليه وأمر بمساعدته ﷺ، أسأل الله العفو والعافية والتخلق بأحسن الأخلاق ولا يهدي لأحسنها إلا هو سبحانه، ولا يصرف عنا سيئها إلا هو سبحانه ﷺ.

عجيب تصرف الرسول ﷺ مع هذا الأعراي الجاني لم يعاتبه على فعله وقوله، وإنما تبسم في وجهه وأعطاه ما يريد، بلغ ﷺ منتهى الحلم ومنتهى كظم الغيظ، ومنتهى العفو، وهذا ليس بمستغرب عليه، عليه الصلاة والسلام.

هذا الخلق النادر الحلم والأناة، والعفو والصفح، الأخلاق الحسنة هي عنوان دعوة رسول الله ﷺ، لأنَّ الله أرسله رحمة للبشرية فقال سبحانه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^١.

[١] أخرجه البخاري].

صور عفوهِ ﷺ كثيرة لا تحصى ، ومنها عفوهِ عن من هو أشد من هذا الأعْرابي ، عفوهِ على من أراد قتله ﷺ ، كَانَ ﷺ نَائِمًا فِي ظِلِّ شَجَرَةٍ، قَدْ عَلَّقَ سَيْفُهُ بِهَا، فَجَاءَ أَعْرَابِيٌّ فَاخْتَرَطَ السَّيْفَ، وَشَهَرَهُ فِي وَجْهِ النَّبِيِّ ﷺ، وَقَالَ: "مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي يَا مُحَمَّدٌ؟!"، قَالَ: اللَّهُ، فَاضْطَرَبَ الْأَعْرَابِيُّ وَوَقَعَ السَّيْفُ مِنْ يَدِهِ، فَأَخَذَ النَّبِيُّ ﷺ السَّيْفَ وَعَفَا عَنْهُ وَأَجْلَسَهُ بِجَوَارِهِ"، "وعفا عنه وأجلسه بجواره!"^٢.

كَانَ مِنْ هَدْيِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ يَعْفُو عَنِ الْإِسَاءَةِ، وَيَغْفِرُ الزَّلَّةَ، وَيَتَحَمَّلُ جَفَاءَ الْجَفَاءِ رَحْمَةً وَعَفْوَةً، شَجَّ رَأْسَهُ وَكَسَرَتْ رَبَاعِيَّتَهُ، وَيُؤْذِيهِ قَوْمُهُ وَعِنْدَمَا يَرْسُلُ اللَّهُ لَهُ مَلِكٌ وَهُوَ حَزِينٌ مِمَّا وَجَدَ مِنْ قَوْمِهِ وَعَانِي، وَيَقُولُ لَهُ الْمَلِكُ: "وَقَدْ بَعَثْنِي رَبُّكَ إِلَيْكَ، لِتَأْمُرَنِي بِأَمْرِكَ، فَمَا شِئْتَ؟ إِنْ شِئْتَ أَطَبَقْتَ عَلَيْهِمُ الْأَخْشَبِينَ"، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ، لَا يَشْرِكُ بِهِ شَيْئًا".

وعندما لما فتح الرسول مكة، اجتمع له أهلها عند الكعبة، ثُمَّ قَالَ: «يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ مَا تَرَوْنَ أَنِّي فَاعِلٌ فِيكُمْ؟» قَالُوا: "خَيْرًا، أَخُ كَرِيمٌ وَابْنُ أَخٍ كَرِيمٍ" قَالَ: «اذْهَبُوا فَأَنْتُمْ الطَّلَقَاءُ»^٣، مع قدرته ﷺ على أخذ حقه منهم!، العفو عند المقدرة عظيم.

فهلا اقتدينا به ﷺ ؟ ، "يقول الرب ﷻ: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾^٤.

الرفق والعفو والحلم والصفح تلك الصفات النادرة علينا أن نتحلى بها، ما أحوجنا إليها، فلا يكون الرفق في شيء إلا زانه ولا ينزع من شيء إلا شانه، الرفق من الإحسان والله يحب المحسنين، العفو والحلم وخاصتاً في رمضان، شهر الخير، شهر الصبر، تضيق صدور بعض الناس فيه!، الشوارع يكثر فيها الجدل بين السائقين بسبب ضيق الخلق وهم صوام، الجميع في البيت متوترون لا يحتمل بعضهم

١ [الأنبياء: ١٠٧].

٢ [سورة الأحزاب الآية رقم (٢١)].

٣ [سيرة ابن هشام].

٤ [الأحزاب: ٢٤].

بعضاً بسبب الصيام، وكأنهم قنابل موقوتة!، أدنى غلطة يثور الزوج وتثور الأم، يثور الإخوان فيما بينهم، والله المستعان.

يحرص الشيطان دائماً عند المنازعات والخصومات على أن يثير غيظ بني آدم وغضبه، استعينوا بالله منه النزاع والجدال، والخصومات.

فعن سليمان بن صرد رضي الله عنه قال: "كُنْتُ جَالِسًا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَرَجُلَانِ يَسْتَبَانِ، فَأَحَدُهُمَا أَحْمَرُ وَجْهُهُ، وَانْتَفَخْتُ أَوْدَاجُهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنِّي لَأَعْلَمُ كَلِمَةً لَوْ قَالَهَا ذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ، لَوْ قَالَ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ، ذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ فَقَالُوا لَهُ: إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: تَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَقَالَ: وَهَلْ بِي جُنُونٌ" ^١.

الناس في رمضان سريعو الإنفعال وكثيرو الغضب، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم: أَوْصِنِي قَالَ: "لَا تَغْضَبْ"، فَرَدَّدَ ذَلِكَ مَرَارًا، قَالَ: "لَا تَغْضَبْ".

إن كتم الغيظ عبادة؛ رُتِبَ عَلَيْهِ الْأَجْرُ الْعَظِيمُ ، فعن معاذ بن أنس الجهني رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «مَنْ كَظَمَ غَيْظًا وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْفِذَهُ، دَعَاهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُخَيِّرَهُ اللَّهُ مِنَ الْحُورِ مَا شَاءَ» ^٢.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرْعَةِ، إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ» ^٣.

شهر رمضان شهر الصبر، تجتمع فيه أنواع الصبر فيه، الصبر على أوامر الله، الصبر على محارم الله، الصبر على أقدار الله المؤلمة.

١ [صحيح البخاري: (٣٢٨٢)].
٢ [رواه أبو داود والترمذي، وحسنه الألباني (سنن أبي داود؛ برقم: [٤٧٧٧]، سنن الترمذي؛ برقم [٢٤٩٣]).]
٣ [أخرجه البخاري (٦١١٤)، ومسلم (٢٦٠٩)].

فلنتق الله، في رمضان وغيره، مدح الله المتقين في القرآن الكريم، وأثنى عليهم رسول الله ﷺ، وبين شيئاً من صفاتهم : ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾^١، وفي آية أخرى: ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾^٢.

تغافلوا عن الزلات، التغافل من شيم النبلاء، والله الإنسان لو يحاسب الآخرين على كل صغيرة وكبيرة لما بقي له من صديق، ولنفر منه الحبيب، بل يمرض وتصيبه الهموم والغموم ما الله به عليم.

التغافل هو تعمد الغفلة، الترفع عن سفاسف الأمور، ومن فضائل التغافل ما جاء عن عثمان بن زائدة قال: "العافية عشرة أجزاء تسعة منها في التغافل". فحدثت به أحمد بن حنبل فقال: "العافية عشرة أجزاء كلها في التغافل"^٣، غصوا الطرف عن الأخطاء الصغيرة وزلات الغير المقصودة.

قال ابن المبارك: والمؤمن يطلب المعاذير* والمنافق يتصيد الزلات.

بعض الناس لا يلتمسون الأعذار لأحد، ويقفون على كل صغيرة وكبيرة، فيفقدون كثيراً من أحبائهم وإخوانهم بذلك، ولو التمسوا لإخوانهم أعذاراً لأراحوا أنفسهم وأراحوا أحبائهم وإخوانهم، ويحتاجها الأبناء وخاصة في فترة المراهقة، هذه الفترة العمرية مراهقة للأبناء ومرهقة للآباء، وبقليل من التغافل تمر هذه المرحلة بسلسلة أكثر، فكثير من الآباء والأمهات يترصدون أخطاء أبنائهم ويحسونها عليهم، ويذكرونها بما كلما سنحت الفرصة لذلك، ينتج من ذلك مشاكل لا تحمد .

فالتمسوا الأعذار للجميع، ففي الخبر عن النبي ﷺ قال: « لا شخص أحب إليه العذر من الله، من أجل ذلك بعث الله المرسلين، مبشرين ومنذرين»^٤،

وعن جعفر الصادق رحمه الله قال: "إذا بلغك عن أخيك شيء تُنكره فالتمس له عذراً واحداً إلى سبعين عُذراً، فإن أصبته وإلا قل: لعل له عذراً لا أعرفه".

علينا أن نلتمس الأعذار؛ حتى تدوم المحبة والمودة بين الأحاباب والإخوان والأصحاب، بين الأبناء وأبنائهم، بين المعلمين وطلابهم، بين المخدمين وخدامهم، فقد ثبت أن عبد الله بن عمر رضي الله

١[آل عمران: ١٣٤]،

٢[الشورى: ٣٧].(١٤).

٣[رواه البيهقي في مناقب الإمام أحمد].

٤[صحيح البخاري: ٦٨٤٦]، وصحيح مسلم. وروى البيهقي في شعب الإيمان

عنهما قال: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ، فَقَالَ: "يَا رَسُولَ اللَّهِ كَمْ نَعْفُو عَنْ الْخَادِمِ؟" فَصَمَتَ، ثُمَّ أَعَادَ عَلَيْهِ الْكَلَامَ، فَصَمَتَ، فَلَمَّا كَانَ فِي الثَّالِثَةِ قَالَ: "اعْفُوا عَنْهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ سَبْعِينَ مَرَّةً" ^١.

كان للمأمون -الخليفة العباسي ابن هارون الرشيد خادم، وهو صاحب وضوئه، فبينما هو يصب الماء على يديه إذ سقط الإناء من يده، فاغتاظ المأمون عليه، فقال: "يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ! إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ: ﴿وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ﴾، فقال المأمون: "قد كظمت غيظي عنك"، قال: ﴿وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾، قال: قد عفوت عنك، قال: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾، قال: اذهب، فأنت حر.

٨: ضحكته - ﷺ - لقول الرجل "غرقتنا فادع ربك يحبسها عنا".

عن أنس - رضي الله عنه -: "أَنَّ رَجُلًا جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ - ﷺ - يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَهُوَ يَخْطُبُ بِالْمَدِينَةِ، فَقَالَ: فَحَطَّ الْمَطَرُ، فَاسْتَسْقَى رَبِّكَ. فَنَظَرَ إِلَى السَّمَاءِ وَمَا نَرَى مِنْ سَحَابٍ، فَاسْتَسْقَى، فَنَشَأَ السَّحَابُ بَعْضُهُ إِلَى بَعْضٍ، ثُمَّ مَطَرُوا حَتَّى سَالَتْ مَتَاعِبُ الْمَدِينَةِ، فَمَا زَالَتْ إِلَى الْجُمُعَةِ الْمُقْبِلَةِ مَا تُقْلَعُ، ثُمَّ قَامَ ذَلِكَ الرَّجُلُ أَوْ غَيْرُهُ، وَالنَّبِيُّ - ﷺ - يَخْطُبُ، فَقَالَ: غَرَقْنَا، فَادْعُ رَبَّكَ يَحْبِسْهَا عَنَّا، فَضَحِكَ ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا وَلَا عَلَيْنَا». مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، فَجَعَلَ السَّحَابُ يَتَصَدَّعُ عَنِ الْمَدِينَةِ يَمِينًا وَشِمَالًا، يُمْطِرُ مَا حَوَالَيْنَا وَلَا يُمْطِرُ مِنْهَا شَيْءٌ، يُرِيهِمُ اللَّهُ كَرَامَةً نَبِيِّهِ - ﷺ - وَاجَابَةً دَعْوَتِهِ" ^٢.

وعن أنس ابن مالك - رضي الله عنه - قال: كَانَ النَّبِيُّ - ﷺ - يَخْطُبُ يَوْمَ جُمُعَةٍ، فَقَامَ النَّاسُ، فَصَاحُوا، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَحَطَّ الْمَطَرُ، وَاحْمَرَّتِ الشَّجَرُ، وَهَلَكَتِ الْبَهَائِمُ، فَادْعُ اللَّهَ يَسْقِينَا، فَقَالَ: اللَّهُمَّ اسْقِنَا مَرَّتَيْنِ، وَابْنِ اللَّهُ، مَا نَرَى فِي السَّمَاءِ قَرَعَةً مِنْ سَحَابٍ، فَنَشَأَتْ سَحَابَةٌ وَأَمْطَرَتْ، وَنَزَلَ عَنِ الْمُنْبَرِ فَصَلَّى، فَلَمَّا انْصَرَفَ، لَمْ تَزَلْ تُمْطِرُ إِلَى الْجُمُعَةِ الَّتِي تَلِيهَا، فَلَمَّا قَامَ النَّبِيُّ - ﷺ - يَخْطُبُ، صَاحُوا إِلَيْهِ تَهَدَّمَتِ الْبُيُوتُ، وَانْقَطَعَتِ السُّبُلُ، فَادْعُ اللَّهَ يَحْبِسْهَا عَنَّا، فَتَبَسَّمَ النَّبِيُّ - ﷺ -، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا وَلَا عَلَيْنَا فَكَشَطَتِ الْمَدِينَةُ، فَجَعَلَتْ تَمْطُرُ حَوْلَهَا وَلَا تَمْطُرُ بِالْمَدِينَةِ

١[حديث صحيح صححه أبي داود والالباني].

٢[صحيح البخاري (١٠٢١)].

قَطْرَةً، فَنَظَرْتُ إِلَى الْمَدِينَةِ وَإِنَّهَا لَفِي مِثْلِ الْإِكْلِيلِ".

قال الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله- معلقاً على هذا الحديث: "الله أكبر، هذا فيه اختلاف عن السياق الأول، لكن هذا من تصرف الرواة لا شك، لأن القصة واحدة، لكن في هذا السياق تبسم النبي -ﷺ- وسبب تبسمه أن الناس لا يصبرون على حال واحدة، ففي الأول يدعون بإيش؟ بالغيث، وفي الثاني يطلبون أن يمسك الله الغيث، الإنسان لا يصبر على حال واحدة"^١.

وقال أيضاً رحمه الله في فتوى الاستسقاء:

"الاستسقاء له صفات متعددة: منها: أن يستسقي الخطيب يوم الجمعة في خطبة الجمعة، ثبت ذلك عن النبي ﷺ فيما رواه أنس بن مالك -رضي الله عنه-: أن رجلاً دخل يوم الجمعة والنبي -ﷺ- يخطب، فقال: يَا رَسُولَ اللَّهِ! هَلَكَتِ الْأَمْوَالُ وَانْقَطَعَتِ السُّبُلُ -فَبَدَأَ ﷺ- بِسَبِّ السُّؤَالِ قَبْلَ السُّؤَالِ- قال: هَلَكَتِ الْأَمْوَالُ وَانْقَطَعَتِ السُّبُلُ، فادع الله يغيثنا، فرفع النبي -ﷺ- يديه، ورفع الناس أيديهم معه، وقال: «اللَّهُمَّ أَغِثْنَا»-ثَلَاثَ مَرَّاتٍ- قَالَ أَنَسٌ -وَهُوَ رَاوِي الْحَدِيثِ- "قَوَّ اللَّهُ مَا فِي السَّمَاءِ مِنْ سَحَابٍ وَلَا قَرْعَةً" -القرعة: قطعة من السحاب إذا: السماء صحو تماماً- وَمَا بَيْنَنَا وَبَيْنَ سَلْعٍ -وهو جبل معروف في المدينة إلى الآن بهذا الاسم- مِنْ بَيْتٍ وَلَا دَارٍ -وإنما ذكر ذلك لأن السحاب تأتي من جهة هذا الجبل- يقول: "فَخَرَجْتُ مِنْ وَرَائِهِ سَحَابَةً مِثْلَ التَّرْسِ -والترس: ما يتوقى به المجاهد من الرماح، وهو يشبه التبس- "فَارْتَفَعَتْ فِي السَّمَاءِ، فَلَمَّا تَوَسَّطَتْ اِنتَشَرَتْ، وَرَعَدَتْ، وَبَرَقَتْ، فَمَا نَزَلَ النَّبِيُّ -ﷺ- مِنَ الْمُنْبَرِ إِلَّا وَالْمَطَرُ يَتَحَادَرُ مِنْ لَحِيَّتِهِ".

لا إله إلا الله! أمطرت وخر السقف من المسجد، وساح على رأس الرسول -عليه الصلاة والسلام-، وجعل المطر يتحادر على لحيته، والمدة قصيرة؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾^٢، ويقول تعالى: ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾^٣، وبدأ المطر ينزل

^١ [شرح كتاب الجمعة والعيدان (صحيح البخاري)]

^٢ [يس: ٨٢]

^٣ [القمر: ٥٠]

أسبوعاً كاملاً ما رأوا الشمس ليلاً ونهاراً، فلما كانت الجمعة الأخرى دخل رجل، أو الرجل الأول وقال: "يا رَسُولَ اللَّهِ! تَهْدِمُ الْبِنَاءَ وَغَرَقَ الْمَالُ فَادْعُ اللَّهَ يُمْسِكْهَا عَنَّا" تَهْدِمُ الْبِنَاءَ مِنْ كَثْرَةِ الْأَمْطَارِ، وَغَرَقَ الْمَالُ مِنْ كَثْرَةِ الْأَمْطَارِ، فَادْعِ اللَّهَ يُمْسِكْهَا عَنَّا، فَدَعَا النَّبِيُّ - ﷺ - لَكِنَّهُ لَمْ يَدْعُ أَنْ يُمْسِكْهَا اللَّهُ إِنَّمَا دَعَا بِدَعَاءٍ نَافِعٍ غَيْرِ ضَارٍ، قَالَ: «اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا وَلَا عَلَيْنَا، اللَّهُمَّ عَلَى الْآكَامِ وَالضَّرَابِ وَبُطُونِ الْأَوْدِيَةِ وَمَنَابِتِ الشَّجَرِ»، وَجَعَلَ يَشِيرُ هَكَذَا بِيَدِهِ، يَقُولُ أَنَسٌ: "فَمَا يَشِيرُ إِلَى نَاحِيَةٍ إِلَّا انْفَرَجَتْ" بِأَمْرٍ مِنْ؟ بِأَمْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، لَيْسَ بِأَمْرِ الرَّسُولِ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - وَإِنَّمَا يَقُولُ: حَوَالَيْنَا وَيَتَفَرَّقُ السَّحَابُ، نَقُولُ بِأَمْرِ اللَّهِ، وَمَنْ الْمَعْلُومُ أَنَّهُ يُمْكِنُ أَنْ تَكُونَ بِأَمْرِ الرَّسُولِ - ﷺ -، وَيَكُونُ اللَّهُ سَخَرَ لَهُ الْغَمَامَ كَمَا سَخَرَ الرِّيحَ لِسُلَيْمَانَ، سُلَيْمَانَ سَخَرَ اللَّهُ لَهُ الرِّيحَ؛ يَضَعُ الْبَسَاطَ وَيَجْلِسُ هُوَ وَحَاشِيَتُهُ، ثُمَّ يَأْمُرُ الرِّيحَ فَتَهْبُ عَاصِفَةً قَوِيَّةً لَكِنْ بَدُونِ قَلْقٍ: ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ﴾^١، حَيْثُ أَرَادَ ﴿غَدُوَهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ﴾^٢ لَكِنْ مُحَمَّدٌ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - لَمْ يَقُلْ لِلْسَّحَابِ: تَفَرَّقِي؛ حَتَّى نَقُولَ: إِنَّ هَذَا بِأَمْرِهِ، إِنَّمَا دَعَا اللَّهَ وَقَالَ: «حَوَالَيْنَا وَلَا عَلَيْنَا» فَالَّذِي فَرَقَهَا هُوَ الَّذِي جَمَعَهَا وَهُوَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَخَرَجَ النَّاسُ يَمْشُونَ فِي الشَّمْسِ - تَعَالَى اللَّهُ - وَسَالِ الْوَادِي (قَنَاة) شَهْرًا، وَقَنَاةُ وَادٍ فِي الْمَدِينَةِ بِهَذَا الْاسْمِ إِلَى الْيَوْمِ، سَالِ شَهْرًا كَامِلًا مِنَ الْأَمْطَارِ، فَسَبَّحَانَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ!^٣.

فيه من الفوائد والعلم الوفير:

أولاً: فيه الحث على الدعاء: الدعاء من أجل العبادات التي يتقرب بها العبد من ربه؛ في السراء وفي الضراء، ينفع قبل وقوع البلاء فيدفعه الله به، يقول النبي - عليه الصلاة والسلام -: "لا يردُّ القضاء إلا الدعاء، ولا يزيد في العمر إلا البرُّ"^٤.

١ [ص: ٣٦].

٢ [سورة سبأ: ١٢].

٣ [اللقاء الشهري (٦٠)].

٤ [رواه الألباني، في صحيح الترمذي، عن سلمان الفارسي، الصفحة أو الرقم: ٢١٣٩، حسن].

وقال -صلى الله عليه وسلم-: "الدُّعَاءُ يَنْفَعُ مِمَّا نَزَلَ وَمِمَّا لَمْ يَنْزَلْ، فَعَلَيْكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِالْدُّعَاءِ"^١، فالمسلم يشرع له أن يسأل الله كل صغيرة وكبيرة.

ثانياً: فيه إجابة الله الدعاء: كيف لا وقد أمر سبحانه بالدعاء ووعد سبحانه بالإجابة، قال سبحانه: ﴿وَقَالَ رَبِّكُمْ ادْعُونِي ...﴾ وقال سبحانه: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾، على الداعي أن يحرص على آداب الدعاء عند دعائه فإنه أخرى للاستجابة.

آداب الدعاء:

- ١- لإخلاص لله تعالى.
 - ٢- أن يبدأ بحمد الله والثناء عليه ثم بالصلاة على النبي - صلى الله عليه وسلم ويختتم بذلك.
 - ٣- الجزم في الدعاء واليقين بالإجابة.
 - ٤- الإلحاح في الدعاء وعدم الاستعجال، يقول الرسول ﷺ: "يُسْتَجَابُ لِأَحَدِكُمْ مَا لَمْ يَعْجَلْ، يَقُولُ: دَعَوْتُ فَلَمْ يُسْتَجَبْ لِي"^٢.
 - ٥- حضور القلب في الدعاء، فعن أبي هريرة أن رسول الله - ﷺ - قال: "أَدْعُوا اللَّهَ وَأَنْتُمْ مُوقِنُونَ بِالْإِجَابَةِ، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَجِيبُ دَعَاءَ مَنْ قَلْبٌ غَافِلٌ لَاهٍ"^٣.
 - ٦- الدعاء في الرخاء والشدّة، "مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُسْتَجَابَ لَهُ فِي الشَّدَّةِ، فَلْيُكْثِرِ الدُّعَاءَ فِي الرِّخَاءِ"،
 - ٧- خفض الصوت بالدعاء بين المخافته والجهر، قال سبحانه: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾^٤.
- وقال الرسول ﷺ لصحابته عندما رفعوا أصواتهم في الذكر والدعاء: عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي سَفَرٍ، فَارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُنَا بِالتَّكْبِيرِ، فَقَالَ: "أَيُّهَا النَّاسُ!

^١، [رواه الألباني، في صحيح الجامع، عن عبدالله بن عمر، الصفحة أو الرقم: ٣٤٠٩، حسن].

^٢ [أخرجه البخاري].

^٣ أخرجه الترمذي (٣٤٧٩) واللفظ له، والبخاري (١٠٠٦١).

^٤ [الأعراف: ٥٥].

ارْبِعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ؛ إِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا، إِنَّكُمْ تَدْعُونَ سَمِيعًا قَرِيبًا مُجِيبًا، وَهُوَ مَعَكُمْ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِنْ عُنُقٍ رَاحِلَتِهِ"¹.

٨- الدعاء ثلاثًا.

٩- استقبال القبلة.

١٠- رفع الأيدي في الدعاء: روى أبو داود في صحيحه والترمذي وابن ماجه في السنن والحاكم في المستدرک من حديث سلمان رضي الله عنه أنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّ رَبَّكُمْ حَيِّي كَرِيمٌ يَسْتَحْيِي مِنْ عَبْدِهِ إِذَا رَفَعَ يَدَيْهِ إِلَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا"².

١١- الوضوء قبل الدعاء إن تيسر.

١٢- التوسل إلى الله بأسمائه الحسني وصفاته العلى أو بعمل صالح كما في قصة أصحاب الغار، دعا أحدهم بربه لوالديه فانخرقت الصخرة عن مكانه، ودعا الآخر بعفته عن الزنا فانخرقت أكثر، ودعا الثالث بتأديته للأمانة التي في ذمته، ففرج الله عنهم وتحركت صخرة كانت تعيقهم من الخروج .

١٣- التقرب إلى الله بكثرة النوافل بعد الفرائض وهذا من أعظم أسباب إجابة الدعاء، قال رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّ اللَّهَ قَالَ مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا وَإِنْ سَأَلَنِي لِأَعْطِيَنَّهُ وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لِأُعِيذَنَّهُ"³.

١٤- أن يكون المطعم والمشرب والملبس من حلال ، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ فَقَالَ تَعَالَى: "يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا"، وَقَالَ تَعَالَى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا"

١] أخرجه أحمد (١٩٦١٤)، والنسائي في ((السنن الكبرى)) (٧٦٨٠).

٢] صحيح ابن حبان: ٨٧٦.

٣] أخرجه البخاري

مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ" ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ: يَا رَبِّ! يَا رَبِّ! وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لَهُ؟^١.

١٥- **أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر** ، فعن حذيفة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «والذي نفسي بيده، لتأمرن بالمعروف، ولتنهون عن المنكر، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً منه، ثم تدعونه فلا يستجاب لكم» رواه الترمذي، وقال: حديث حسن.

١٦- **الابتعاد عن جميع المعاصي**: الذنوب سبب في كل حرمان، سبب في كل بلاء، عن ثوبان رضي الله عنهما مولى رسول الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "لا يزيد في العمر إلا البر، ولا يرُدُّ القدر إلا الدُّعاء، وإنَّ الرجل ليُحرَمَ الرِّزْقَ بالذنب يُصيبه"^٢.

المعاصي سبب في فقدان النعم وزوالها، سبب في أمراض القلوب وموتها، تغلف الذنوب القلب بالران، فيمرض ويغفل بل وقد يموت، نحتاج والله أن نحرس نعقم قلوبنا من الأمراض كما نحرس على تعقيم أيدينا من الفيروسات، الذنوب تحرم الإنسان من العلم، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيَعْلَمَكُمُ اللَّهُ﴾، تقوى الله والعلم متلازمان، الذنوب والمعاصي تحرم الإنسان من فعل الطاعات؛ لأنَّ الطاعة لا تحصل للعبد إلا بتوفيق من الله تعالى، والعاصي تسبب في حرمانه من هذا الخير، قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مِّمَّنْهُمْ وَمَتَّئِهِمْ ۖ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾^٣.

﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ﴾، أي: عملوها وكسبوها "أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مِّمَّنْهُمْ وَمَتَّئِهِمْ"، أي: نساويهم بهم في الدنيا والآخرة ! ساء ما يحكمون، أي :

١[رواهُ مُسْلِمٌ (١٠١٥)].

٢ [صحيح ابن ماجه: (٣٢٦٤)].

٣[الجنائية: ٢١].

ساء ما ظنوا بنا وبعدلنا أن نساوي بين الأبرار والفجار في الدار الآخرة ، وفي هذه الدار"¹.
قال تعالى : ﴿لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾². [

ثالثاً: حسن الظن بالله جل في علاه: ورد في الحديث القدسي، يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَأٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشِيرٍ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرَوَلَةً﴾³.

ما هو ظنك في الله؟ "أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي" يقول الرب تعالى يقول: "أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي ؛ إن خيراً فخير، وإن شراً فشر"⁴.

فمن حسن الظن بالله معناه ظن الإجابة عند الدعاء، وظن القبول عند التوبة، وظن المغفرة عند الاستغفار.

عن واثلة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: قال الله تعالى: "أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي فَلْيُظَنِّ بِي مَا شَاءَ"⁵.
كيف لا نحسن الظن فيه ﷺ وبيده الخير كله؟ كيف لا نظن فيه خيراً وهو الكريم سبحانه؟ كيف لا نظن به خيراً وبيده ملامى.

قال الله عز وجل في الحديث القدسي: "أَنْفَقُ أَنْفَقَ عَلَيْكَ، وَقَالَ: يَدُ اللَّهِ مَلَأَى لَا تَغِيظُهَا نَفَقَةً سَحَاءَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَقَالَ: أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مِنْذُ خَلَقَ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ، فَإِنَّهُ لَمْ يَغْضُ مَا فِي يَدِهِ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ، وَبِيَدِهِ الْمِيزَانُ يَخْفِضُ وَيَرْفَعُ"⁶.

كيف لا نحسن الظن فيه ﷺ وهو القائل سبحانه: يَا عِبَادِي: "إِنِّي حَرَمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتَهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا؛ فَلَا تَظَالَمُوا، يَا عِبَادِي! كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ، فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ، يَا

¹ [ابن كثير]

² [الحشر : ٢٠].

³ [رواه البخاري في صحيحه].

⁴ [رواه الطبراني في الأوسط عن واثلة كما في صحيح الجامع رقم: ١٩٠٥].

⁵ [صحيح ابن حبان: (٦٤١)].

⁶ [٦].

عِبَادِي! كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتَهُ، فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ. يَا عِبَادِي! كُلُّكُمْ عَارٍ إِلَّا مَنْ كَسَوْتَهُ، فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ. يَا عِبَادِي! أَنْتُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا؛ فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ. يَا عِبَادِي! أَنْتُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضُرِّي فَتَضُرُّونِي، وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي. يَا عِبَادِي! لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّتُمْ كَانُوا عَلَى أَتَقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ، مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا. يَا عِبَادِي! لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّتُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا. يَا عِبَادِي! لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّتُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، فَسَأَلُونِي، فَأَعْطَيْتُ كُلَّ وَاحِدٍ مَسْأَلَتَهُ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمَخِيطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرُ. يَا عِبَادِي! إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُخْصِيهَا لَكُمْ، ثُمَّ أُوَفِّيْكُمْ بِهَا؛ فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يُلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ^١.

٩: ضحكته - ﷺ - لموافقة كلامه لكلام رجل من اليهود:

عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - عن رسول الله - ﷺ - قال: «تَكُونُ الْأَرْضُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ خُبْرَةً وَاحِدَةً، يَكْفُوْهَا الْجَبَّارُ بِيَدِهِ، كَمَا يَكْفُو أَحَدُكُمْ خُبْرَتَهُ فِي السَّفَرِ، نُزُلًا لِأَهْلِ الْجَنَّةِ، قَالَ: "فَأَتَى رَجُلٌ مِنَ الْيَهُودِ، فَقَالَ: "بَارَكَ الرَّحْمَنُ عَلَيْكَ، أَبَا الْقَاسِمِ! أَلَا أُخْبِرُكَ بِنُزُلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟"، قَالَ: «بَلَى»، قَالَ: "تَكُونُ الْأَرْضُ خُبْرَةً وَاحِدَةً (كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ -). قَالَ: "فَنَظَرَ إِلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - ثُمَّ ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِدُهُ". قَالَ: "أَلَا أُخْبِرُكَ بِإِدَامِهِمْ؟"، قَالَ: «بَلَى». قَالَ: "إِدَامُهُمْ بِالْأَمِّ وَنُونٌ". قَالُوا: "وَمَا هَذَا؟"، قَالَ: "ثَوْرٌ وَنُونٌ، يَأْكُلُ مِنْ زَائِدَةٍ كَبِدِهِمَا سَبْعُونَ أَلْفًا^٢".

— قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: "تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة ، لأنها في الدنيا كرة واحدة ، في الآخرة تكون خبزة واحدة ، يعني مبسوطة ، كما قال الله تعالى : ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ

١ [رواه مُسْنَدُ] رقم: ٢٥٧٧

٢ [أخرجه مسلم (٢٧٩٢)].

وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحَقَّتْ ، وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ﴿١﴾، إذا الأرض مدت يعني يوم القيامة، تمد ، أما الآن فهي مسطوحة وليست ممدودة، لأنها لكبرها، لا نحس باستدارتها، عند ذلك كانت سطحاً يراها الإنسان، وكأنها سطح، وهي في الحقيقة مكورة، لكنها يوم القيامة تمد، تكون كالخبزة، يتكفؤها الجبار -عز وجل-، وهو الله سبحانه وتعالى، كما يكفأ أحدكم خبزته في السفر نزلاً لأهل الجنة، يعني ضيافة، تكون ضيافة لأهل الجنة ، وهذه من قدرة الله -عز وجل- ، هذه الأرض التي الآن طين ورمل وغيرها، يوم القيامة تكون من أحسن الأطعمة، بل من الأطعمة التي لم نر مثلاً، فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، تكون هذه نزلاً لأهل الجنة يوم القيامة"، فجاء رجل من اليهود ، فقال بارك الله عليك يا أبا القاسم"١ .

تتبدل الأرض يوم القيامة: فعن عائشة - رضي الله عنها - قالت: سألتُ رسول الله - ﷺ - عن قوله - تعالى - :﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ﴾٢، فأين يكون الناس يومئذٍ، يا رسول الله؟ فقال: على الصراط"٣.

قال تعالى: ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾٤ . قال القرطبي: "فهذه الأحاديث تنصُّ على أن السموات والأرض تبدل وتزال، ويخلق الله أرضاً أخرى، ويكون الناس عليها بعد كونهم على الجسر، وأنها تتبدل إلى خبزة بيضاء يأكل المؤمن من تحت قدميه، وهو قول أبي هريرة، وسعيد بن جبير، وهو الأقرب للصواب، والله أعلم؛ وذلك لما ورد عن أبي سعيد الخدري قال: قال النبي ﷺ: "تَكُونُ الْأَرْضُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ خَبْزَةً وَاحِدَةً، يتكفؤها الجبار بيده، كما يكفأ أحدكم خبزته في السفر، نزلاً لأهل الجنة"، فأتى رجل من اليهود، فقال: "بارك الرحمن عليك يا أبا القاسم، ألا أخبرك بنزل أهل الجنة يوم القيامة؟ قال: "بلى"، قال: تكون

١ [شرح كتاب الرقاق (صحيح البخاري)].

٢ [إبراهيم: ٤٨].

٣ [مسلم (٢٧٩١)].

٤ [الزمر: ٦٧].

الأرض خبزةً واحدةً - كما قال النبي - ﷺ - فنظر النبي - ﷺ - إلينا - ثم ضحك حتى بدت نواجذه".

لا يعجزه شيء ﷻ، قال الله تعالى: ﴿تَمَّا أَمَرُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾^١، وقال سبحانه: ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾^٢، وقال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾^٣، وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾^٤.

مسكين ابن آدم ما قدر الله حق قدره، لو عرف الناس عظمة الله ما عصوه، مسكين ابن آدم، خلق من طين وأخرجه الله من أقدَر مخرجين، وبارز الله بالذنوب والمعاصي، قال ابن رجب رحمه الله: " فمن تَحَقَّقَ أن كلَّ مخلوقٍ فوق الترابِ فهو تُرابٌ؛ فكيف يُقَدِّمُ طاعةَ شيءٍ من التُّرابِ على طاعةِ ربِّ الأربابِ؟!، أم كيف يُرضي التُّرابَ بسخطِ الملِكِ الوهابِ؟!، إنَّ هذا لشيءٌ عَجَابٌ".

١٠ - ضحكته - ﷺ - من أناس من أمته يركبون البحر في سبيل الله مثل الملوك:

● عن عبد الله بن عبد الرحمن الأنصاري قال: "سَمِعْتُ أَنَسًا -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- يَقُولُ: دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- عَلَى ابْنَةِ مَلْحَانَ فَاتَّكَأَ عِنْدَهَا، ثُمَّ ضَحِكَ"، فَقَالَتْ: "لِمَ تَضْحَكُ يَا رَسُولَ اللَّهِ"، فَقَالَ: «أَنَاسٌ مِنْ أُمَّتِي يَرْكَبُونَ الْبَحْرَ الْأَخْضَرَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، مِثْلُهُمْ مِثْلُ الْمُلُوكِ عَلَى الْأَسِرَّةِ». فَقَالَتْ: "يَا رَسُولَ اللَّهِ، ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَني مِنْهُمْ". قَالَ: «اللَّهُمَّ اجْعَلْهَا مِنْهُمْ». ثُمَّ عَادَ فَضَحِكَ، فَقَالَتْ لَهُ مِثْلُ، أَوْ مِمَّ ذَلِكَ؟ فَقَالَ لَهَا مِثْلُ ذَلِكَ، فَقَالَتْ: "ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَني مِنْهُمْ". قَالَ: «أَنْتِ مِنَ الْأَوَّلِينَ، وَلَسْتَ مِنَ الْآخِرِينَ».

١ [يس: ٨٢].

٢ [القمر: ٥٠].

٣ [الزمر: ٦٧].

٤ [الروم: ٢٧].

قَالَ: قَالَ أَنَسُ: "فَتَزَوَّجَتْ عُبَادَةَ بْنَ الصَّامِتِ، فَرَكِبَتْ الْبَحْرَ مَعَ بِنْتِ قُرْظَةَ، فَلَمَّا قَفَلَتْ، رَكِبَتْ دَابَّتَهَا، فَوَقِصَتْ بِهَا، فَسَقَطَتْ عَنْهَا فَمَاتَتْ"^١.

-الرميصاء أم حرام: هي ابنة ملحان أخت أم سليم، وخالة أنس بن مالك، وزوجة عبادة بن الصامت.

— قال النووي رحمه الله: "اتفق العلماء على أن أم حرام كانت محرما له -ﷺ- واختلفوا في كيفية ذلك، فقال ابن عبد البر وغيره: كانت إحدى خالاته من الرضاعة. وقال آخرون: بل كانت خالة لأبيه أو لجدته لأن عبد المطلب كانت أمه من بني النجار".

"أُمُّ حَرَامٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مِنْ مُحَارِمِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ وَلِذَلِكَ كَانَ يَدْخُلُ عَلَيْهَا، وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ أَنَّهُ دَخَلَ عَلَيْهَا مَرَّةً فَأَطْعَمَتْهُ ثُمَّ جَعَلَتْ تَقْلِي رَأْسَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَي: تُفْتِشُهُ؛ لِتُخْرِجَ مِنْهُ الْأَذَى، فَنَامَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ اسْتَيْقَظَ وَهُوَ يَضْحَكُ، فَسَأَلَتْهُ أُمُّ حَرَامٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عَنْ ضَحِكِهِ، فَقَالَ لَهَا: «نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي عُرِضُوا عَلَيَّ غُزَاةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ، يَرْكَبُونَ ثَبَجَ هَذَا الْبَحْرِ مُلَوِّكًا عَلَى الْأَسْرَةِ»، أَي: إِنَّهُ رَأَى نَاسًا مِنْ أُمَّتِهِ خَرَجُوا فِي الْغَزْوِ يَرْكَبُونَ الْمَرَاقِبَ فِي وَسْطِ الْبَحْرِ كَأَنَّهُمْ مِثْلُ الْمَلُوكِ عَلَى أَسْرَتِهِمْ؛ لِاتِّسَاعِ السُّفَنِ الَّتِي يَرْكَبُونَهَا، فَقَالَتْ لَهُ أُمُّ حَرَامٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، فَدَعَا لَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ وَضَعَ رَأْسَهُ ثُمَّ اسْتَيْقَظَ وَهُوَ يَضْحَكُ، فَسَأَلَتْهُ أُمُّ حَرَامٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عَنْ سَبَبِ ضَحِكِهِ، فَقَالَ لَهَا مِثْلَ مَا قَالَ فِي الْمَرَّةِ الْأُولَى، فَكَرَّرَتْ عَلَيْهِ طَلَبَهَا بِأَنْ يَدْعُوَ لَهَا أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ، فَقَالَ لَهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنْتِ مِنَ الْأَوَّلِينَ، أَي: مِنَ أَوَّلِ مَنْ يَكُونُ عَلَى هَذِهِ السُّفَنِ فِي وَسْطِ الْبَحْرِ، فَلَمَّا كَانَ زَمَانُ خِلَافَةِ مُعَاوِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رَكِبَتْ أُمُّ حَرَامٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا الْبَحْرَ فِي غَزْوِ الرُّومِ، فَلَمَّا خَرَجَتْ مِنَ الْبَحْرِ صُرِعَتْ عَنْ دَابَّتِهَا، أَي: وَقَعَتْ مِنْ فَوْقِهَا فَمَاتَتْ"^٢.

^١[رواه مسلم (رقم: ٢٧٢٢)].

^٢[الدرر السنية]

بشرها النبي بركوب البحر والشهادة، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، فخص الله من عباده ما يشاء بالفضل، فهذه بشرها بالشهادة، وأسية امرأة فرعون طلبت من ربها بيتاً في الجنة فاستجاب الله لها، وأراها الله بيته في الجنة، أم عمار أول شهيدة في الإسلام سمية، بشرها الرسول صلى الله عليه وسلم بالجنة قائلا "صبراً آل ياسر، صبراً آل ياسر فإن موعدكم الجنة"، أم أيمن، بركة الحبشية، نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إليها وقال: "من سره أن يتزوج امرأة من الجنة فليزوج أم أيمن"، فتزوجها الحارث، وخديجة رضي الله عنها بشرها "بييت في الجنة من قصب، لا صخب فيه ولا نصب" ^١. وقرأها الله تعالى السلام، وعائشة رضي الله عنها يقرأها جبريل السلام.

١١: ضحكك - ﷺ - تعجبا من أمر المؤمن:

● جاء في حديث صهيب رضي الله عنه: "بَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - قَاعِدٌ مَعَ أَصْحَابِهِ إِذْ ضَحِكَ"، فَقَالَ: «أَلَا تَسْأَلُونِي مِمَّ أَضْحَكُ؟»، قَالُوا: "يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمِمَّ تَضْحَكُ؟"، قَالَ: «عَجِبْتُ لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، إِنْ أَصَابَهُ مَا يُحِبُّ حَمَدَ اللَّهُ وَكَانَ لَهُ خَيْرٌ، وَإِنْ أَصَابَهُ مَا يَكْرَهُ فَصَبَرَ كَانَ لَهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ كُلُّ أَحَدٍ أَمْرُهُ كُلُّهُ لَهُ خَيْرٌ إِلَّا الْمُؤْمِنُ» ^٢.

الحديث أشار إلى أن المؤمن تصيبه السراء وتصيبه الضراء، فالمؤمن في كل أحواله يتدرج في مراتب العبودية بين صبر على البلاء وشكر على النعم.

على المسلم يسلم أمره لله ويرضا بما قضاه الله له، فإن تسليم المؤمن أمره لله تعالى فيما يفعل، مع علمه أن تدبير الله تعالى له خير له من تدبيره لنفسه هو أحد أركان الإيمان، فيشكره على النعم، ويصبر عند النقم، ويعلم يقينا أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه، وأن ما يصيبه في هذه الدنيا من الأقدار المؤلمة والغير المؤلمة قد كتبت له قبل أن تخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة.

^١[متفق عليه].

^٢[رواه أحمد: (١٨٩٥٩)، وهو حديث صحيح، وصححه الألباني السلسلة الصحيحة: (١٤٧)].

أحد السلف كان أقرع الرأس، أبرص البدن، أعمى العينين، مشلول القدمين واليدين، وكان يقول:
"الحمد لله الذي عافاني مما ابتلى به كثيراً ممن خلق وفضلني تفضيلاً" فَمَرَّ بِهِ رجل فقال له: مِمَّ عافاك؟، أعمى وأبرص وأقرع ومشلول، فَمِمَّ عافاك؟.

فقال : ويحك يا رجل! جَعَلَ لي لساناً ذاكرةً ، وقلباً شاكراً ، وَبَدَنًا على البلاء صابراً ".
قال عليه الصلاة والسلام : "من يستعفف يعفه الله، ومن يستغن يغنه الله، ومن يتصبر يصبره الله، وما أعطي أحد عطاء خيراً وأوسع من الصبر"^١.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : "العبد دائماً بين نعمة من الله يحتاج فيها الى شكر، وذنب منه يحتاج فيه الى الاستغفار، وكل من هذين من الأمور اللازمة للعبد دائماً ، فإنه لا يزال يتقلب في نعم الله وآلائه ، ولا يزال محتاجاً الى التوبة والاستغفار" . اهـ.

قال ابن مسعود رضي الله عنه : "فالمؤمن يتقلب بين مقام الشكر على النعماء ، وبين مقام الصبر على البلاء . فيعلم علم يقين أنه لا اختيار له مع اختيار مولاه وسيده ومالكة سبحانه وتعالى " .

وهل العبد الإنسي يعترض على مولاه؟ إذا كان المملوك لا يعترض على مولاه والله المثل الأعلى، فكيف نعترض ونحن العبيد على الله تعالى، المملوكين لله جل جلاله الذي لا حول ولا قوة لنا إلا به سبحانه. ما يصيب المؤمن في هذه الدنيا من خير وشر ، من سراء وضراء لحكم عظيمة أرادها الله له، فإذا أصيب ببلاء يصبر، فعن أنسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قَالَ: إِنَّ عِظَمَ الْجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ الْبَلَاءِ، وَإِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السَّخَطُ، قد يبتلى الإنسان لأن الله أراد به خيراً، وقد يظن المبتلى أنه شر له وهو بالحقيقة خير له، يقول الرب جل جلاله: ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ۖ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾^٢.

^١[رواه البخاري ومسلم].

^٢[البقرة: ٢١٦].

المؤمن يحمد الله في كل أحواله، إن أصابته سراء قال الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وإن أصابته ضراء قال: الحمد لله على كل حال.

قال ابن القيم: عنوان السعادة في ثلاث:

• من إذا أعطي شكر.

• وإذا ابتلي صبر.

• وإذا أذنب استغفر.

أسأل الله أن يجعلنا ممن إذا أعطوا شكروا وإذا ابتلوا صبروا، وإذا أذنبوا استغفروا.

١٢: ضحكك - ﷺ - من حال أصحابه لما رأى سرعتهم إلى الكن في المطر.

● عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: "شكا الناس إلى رسول الله - ﷺ - قحوط المطر، فأمر بمنبر فوضع له في المصلى، ووعد الناس يوماً يخرجون فيه"، قالت عائشة: "فخرج رسول الله - ﷺ - حين بدا حاجب الشمس، فقعده على المنبر، فكبر - ﷻ - وحمد الله - عز وجل - ثم قال: «إنكم شكوتُم جذب دياركم، واستنخار المطر عن إبان زمانه عنكم، وقد أمركم الله - عز وجل - أن تدعوه ووعدكم أن يستجيب لكم»، ثم قال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾^١، لا إله إلا الله يفعل ما يريد، اللهم أنت الله لا إله إلا أنت الغني ونحن الفقراء، أنزل علينا الغيث، واجعل ما أنزلت لنا قوة وبلاغاً إلى حين"، ثم رفع يديه فلم يزل في الرفع حتى بدا بياض إبطيه، ثم حوّل إلى الناس ظهره وقلب - أو حوّل - رداءه وهو رافع يديه، ثم أقبل على الناس ونزل فصلى ركعتين، فأنشأ الله سحابة فرعدت وبرقت ثم أمطرت بإذن الله، فلم يأت مسجده حتى سألت السيول، فلما رأى سرعتهم إلى الكن ضحك - ﷻ - حتى بدت نواجذه فقال: «أشهد أن الله على كل شيء قدير، وأني عبد الله ورسوله»^٢.

[الفاتحة: ١ - ٤]

[رواه مسلم].

١٣: ضحكك - ﷺ - من سلمة بن الأكوع لما أعطى الحجة لعمه عامر:

● عن سلمة بن الأكوع - رضي الله عنه - قال: "قَدِمْنَا الْحُدَيْبِيَّةَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - وَنَحْنُ أَرْبَعُ عَشْرَةَ مِائَةً، وَعَلَيْهَا خَمْسُونَ شَاةً لَا تُرْوِيهَا، قَالَ: فَقَعَدَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - عَلَى جَبَا الرِّكْبَةِ، فِيمَا دَعَا، وَإِمَامًا بَصَقَ فِيهَا، قَالَ: فَجَاشَتْ، فَسَقَيْنَا وَاسْتَقَيْنَا، قَالَ: ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - دَعَانَا لِلْبَيْعَةِ فِي أَصْلِ الشَّجَرَةِ، قَالَ: فَبَايَعْتُهُ أَوَّلَ النَّاسِ، ثُمَّ بَايَعَ، وَبَايَعَ، حَتَّى إِذَا كَانَ فِي وَسْطِ مِنَ النَّاسِ، قَالَ: «بَايِعْ يَا سَلَمَةُ» قَالَ: قُلْتُ: "قَدْ بَايَعْتُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فِي أَوَّلِ النَّاسِ"، قَالَ: «وَأَيْضًا»، قَالَ: وَرَأَى رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - عَزْلًا - يَعْني لَيْسَ مَعَهُ سِلَاحٌ - ، قَالَ: "فَاعْطَانِي رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - حَجَفَةً - أَوْ دَرَقَةً - ^(٢)، ثُمَّ بَايَعَ، حَتَّى إِذَا كَانَ فِي آخِرِ النَّاسِ، قَالَ: «أَلَا تُبَايِعُنِي يَا سَلَمَةُ؟» قَالَ: قُلْتُ: قَدْ بَايَعْتُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فِي أَوَّلِ النَّاسِ، وَفِي أَوْسَطِ النَّاسِ، قَالَ: «وَأَيْضًا»، قَالَ: فَبَايَعْتُهُ الثَّلَاثَةَ، ثُمَّ قَالَ لِي: «يَا سَلَمَةُ، أَيْنَ حَجَفَتُكَ - أَوْ دَرَقَتُكَ - الَّتِي أُعْطَيْتُكَ؟» قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَقِينِي عَمِّي عَامِرٌ عَزْلًا، فَاُعْطِيْتُهُ إِيَّاهَا، قَالَ: فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ -، وَقَالَ: «إِنَّكَ كَالَّذِي قَالَ الْأَوَّلُ: اللَّهُمَّ أَبْغِنِي حَبِيبًا هُوَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي...» ^١.

١٤: ضحكك - ﷺ - من خشية أم سليم على ابنتها:

● عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: "كَانَتْ عِنْدَ أُمِّ سُلَيْمٍ يَتِيمَةٌ، وَهِيَ أُمُّ أَنَسٍ، فَرَأَى رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - الْيَتِيمَةَ، فَقَالَ: «أَنْتِ هِيَ؟ لَقَدْ كَبُرَتْ، لَا كِبَرَ سِنِكَ»، فَرَجَعَتِ الْيَتِيمَةُ إِلَى أُمِّ سُلَيْمٍ تَبْكِي، فَقَالَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ: "مَا لَكَ؟ يَا بُنَيَّةُ" قَالَتِ الْجَارِيَةُ: "دَعَا عَلِيٌّ نَبِيَّ اللَّهِ - ﷺ - ، أَنْ لَا يَكْبَرَ سِنِّي، فَالآنَ لَا يَكْبَرُ سِنِّي أَبَدًا"، أَوْ قَالَتْ قَرْنِي فَخَرَجْتُ أُمُّ سُلَيْمٍ مُسْتَعْجِلَةً تَلَوْتُ خِمَارَهَا، حَتَّى لَقِيتُ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - ، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ -: «مَا لَكَ يَا أُمُّ سُلَيْمٍ»، فَقَالَتْ: "يَا نَبِيَّ اللَّهِ أَدْعَوْتُ عَلَى يَتِيمَتِي"، قَالَ: «وَمَا ذَاكَ؟ يَا أُمُّ سُلَيْمٍ» قَالَتْ: زَعَمْتَ أَنَّكَ دَعَوْتَ أَنْ لَا يَكْبَرَ

١ [الحجفة الترس من جلود بلا خشب ولا رباط من عصب].

٢ [رواه أبو داود بإسناد جيد وحسنه الألباني].

سُنُّهَا، وَلَا يَكْبَرُ قَرْنُهَا، قَالَ فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ-، ثُمَّ قَالَ: «يَا أُمَّ سُلَيْمٍ أَمَا تَعْلَمِينَ أَنَّ شَرْطِي عَلَى رَيِّ، أَيَّ اشْتَرَطْتُ عَلَى رَيِّ فَقُلْتُ: إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ، أَرْضَى كَمَا يَرْضَى الْبَشَرُ، وَأَغْضَبُ كَمَا يَغْضَبُ الْبَشَرُ، فَأَيُّمَا أَحَدٍ دَعَوْتُ عَلَيْهِ، مِنْ أُمَّتِي، بِدَعْوَةٍ لَيْسَ لَهَا بِأَهْلٍ، أَنْ يَجْعَلَهَا لَهُ طَهُورًا وَزَكَاةً، وَقُرْبَةً يُقَرِّبُهُ بِهَا مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^١.

١٥: ضحكك -ﷺ- من شجاعة أم سليم رضي الله عنها.

● عَنْ أَنَسٍ، أَنَّ أُمَّ سُلَيْمٍ اتَّخَذَتْ يَوْمَ حُنَيْنٍ خِنْجَرًا، فَكَانَ مَعَهَا، فَرَأَاهَا أَبُو طَلْحَةَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذِهِ أُمُّ سُلَيْمٍ مَعَهَا خِنْجَرٌ، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ-: «مَا هَذَا الْخِنْجَرُ؟» قَالَتْ: اتَّخَذْتُهُ إِنْ دَنَا مِنِّي أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، بَقَرْتُ بِهِ بَطْنَهُ، فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- يَضْحَكُ، قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، اقْتُلْ مَنْ بَعَدَنَا مِنَ الطُّلُقَاءِ انْهَزَمُوا بِكَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ-: «يَا أُمَّ سُلَيْمٍ، إِنَّ اللَّهَ قَدْ كَفَى وَأَحْسَنَ»^٢.

^١[رواه مسلم (رقم: ٢٦٠٣)].

^٢[رواه مسلم (رقم: ١٨٠٩)].

مواقف

بكي فيها

صلى الله
عليه
وسلم

النبي

١: بكاءه - ﷺ - عند قراءة ابن مسعود - رضى الله عنه - آية النساء:

● عن عبدالله بن مسعود قال: "قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - : «اقْرَأْ عَلَيَّ الْقُرْآنَ»"، قَالَ: "فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَقْرَأُ عَلَيْكَ، وَعَلَيْكَ أَنْزَلَ؟" قَالَ: «إِنِّي أَشْتَهِي أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيْرِي»، فَقَرَأْتُ النَّسَاءَ، حَتَّى إِذَا بَلَغْتُ: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾^١، رَفَعْتُ رَأْسِي -أَوْ غَمَزَنِي رَجُلٌ إِلَى جَنْبِي فَرَفَعْتُ رَأْسِي- فَرَأَيْتُ دُمُوعَهُ تَسِيلُ"، وَفِي رِوَايَةِ الْبُخَارِيِّ: "حَتَّى أَتَيْتُ إِلَى هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾^٢، قَالَ: «حَسْبُكَ الْآنَ»، فَالْتَفَتُ إِلَيْهِ، فَإِذَا عَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ"^٣.

والخضوع والانكسار والتذلل لله يحبه الله، البكاء من الخشية والخشوع لله عبادة.

أين هي دموعنا ؟ يقول الرب ﷻ عن حال المؤمنين : ﴿إِذَا تُلِّى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾^٤، ويقول سبحانه: ﴿يَخْرُجُونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾^٥، أين هي الدموع؟، القلوب جافة، أصابها القحط والجفاف من آثار الذنوب والمعاصي، أصابها القحط والجفاف بسبب الانكباب على الدنيا، أصابها القحط والجفاف بسبب الانشغال بملاهي الدنيا بالجوالات، بالسنانبات، بالانستقرام، يقضى فيها الساعات على سخافات ومحرمات وأصوات المزامير والادمان على رؤية المنكرات، وهل مثل هؤلاء يخرجون للأذقان و يبكون من خشية الله!.

أين هي الدموع ونقرأ ونسمع قول الله تعالى: ﴿أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ (٩٥) وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ (٩٦) وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ (٩٦) فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا﴾^٥.

١[النساء: ٤١].

٢[النساء: ٤١].

٣: [أخرجه البخاري ومسلم].

٤[مريم: ٥٨].

٥[سورة النجم: ٢٣].

قال ابن عباس: "سَامِدُونَ" معرضون، وكذا قال مجاهد وعكرمة، وقال الحسن: غافلون"^١.

نسمع ونقرأ الآيات التي لو أنزلت على الجبال لتصدعت من خشية الله، وقلوبنا لم تتصدع ولا حول ولا قوة إلا بالله ، نسمع ونقرأ الآيات التي تزلزلت منها قلوب الصحابة وقلوبنا صامدة جامدة !.

جاء في الحديث عن أَبِي ذَرٍّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ، أُطَّتِ السَّمَاءُ، وَحُقَّ لَهَا أَنْ تَنْطُطَ، مَا فِيهَا مَوْضِعُ أَرْبَعِ أَصَابِعٍ إِلَّا وَمَلَكٌ وَاضِعٌ جَبْهَتَهُ سَاجِدًا لِلَّهِ تَعَالَى، وَاللَّهُ لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمَ لَصَحَحْتُمْ قَلِيلًا، وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا، وَمَا تَلَدَّذْتُمْ بِالنِّسَاءِ عَلَى الْفُرْشِ، وَلَخَرَجْتُمْ إِلَى الصُّعْدَاتِ تَجَارُونَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى"^٢.

القلوب قست والعيون قحطت ، الرسول ﷺ لما سمع من عبدالله بن مسعود هذه الآية: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾^٣.

سالت دموعه ﷺ ! .

أين الدموع؟ أين هي الخشية في القلوب؟ أين البكاء من خشية الله؟.

كان السلف عند قراءة القرآن، أو عند ذكر الآخرة، أو الجنة أو النار يبكاء الطفل على أمه ، قال تعالى في شأنهم ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾^٤.

عن أَبِي أُمَامَةَ صُدِّي بْنِ عَجَلَانَ الْبَاهِلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ "لَيْسَ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى مِنْ قَطْرَتَيْنِ، وَأَثَرَيْنِ: قَطْرَةُ دُمُوعٍ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ، وَقَطْرَةُ دَمٍ تُهْرَاقُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَأَمَّا الْأَثَرَانِ: فَأَثَرٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى، وَأَثَرٌ فِي فَرِيضَةٍ مِنْ فَرَائِضِ اللَّهِ تَعَالَى"^٥.

١ [تفسير ابن كثير] .

٢ [رواه الترمذي وقال: حديث حسن].

٣ [النساء: ٤١] ،

٤ [الإسراء: ١٠٩].

٥ [رواه الترمذي وقال: حديث حسن]..

عن ابن عباس، رضي الله عنهما، قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: عَيْنَانِ لَا تَمْسُهُمَا النَّارُ: عَيْنُ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ، وَعَيْنٌ بَاتَتْ تَحْرُسُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ"¹.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لَا يَلْجُ النَّارَ رَجُلٌ بَكَى مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ حَتَّى يَعُودَ اللَّبَنُ فِي الضَّرْعِ، وَلَا يَجْتَمِعُ عَلَى عَبْدٍ غَبَارٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَدَخَانُ جَهَنَّمَ"².

أين دموعنا عند قراءتنا للقرآن؟ قال أحد السلف: "مساكين أهل الغفلة، خرجوا من الدنيا وما ذاقوا أطيّب ما فيها " نخشى أن نكون نحن المساكين والله المستعان، يقول أبو بكر رضي الله عنه : (ابكوا ، فإن لم تبكوا، فتباكوا) سبحان حتى التباكي لا نستطيع!.

قال ابن مسعود رضي الله عنه: (اطْلُبْ قَلْبَكَ فِي ثَلَاثَةِ مَوَاطِنَ: عِنْدَ سَمَاعِ الْقُرْآنِ، وَفِي مَجَالِسِ الذِّكْرِ، وَفِي أَوْقَاتِ الْخُلُوةِ؛ فَإِنْ لَمْ تَجِدْهُ فِي هَذِهِ الْمَوَاطِنِ فَسَلِ اللَّهَ أَنْ يَمُنَّ عَلَيْكَ بِقَلْبٍ؛ فَإِنَّهُ لَا قَلْبَ لَكَ"³.

نسأل الله أن يصلح لنا قلوبنا، فالقلب هو الأساس، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ"⁴.

٢: بكاءه - ﷺ - في الصلاة خشوعا.

● عن مطرف وهو ابن الشَّحِير عن أبيه قال: "أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - وَهُوَ يُصَلِّي وَجُوفُهُ أَزِيْرُ كَأَزِيْرِ الْمَرْجَلِ مِنْ الْبُكَاءِ"⁵.

الصلاة ، الصلاة لا حول ولا قوة إلا بالله، ففي الحديث بيان لما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم من شِدَّةِ الْخَوْفِ مِنَ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا، وما كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْخُشُوعِ فِي الصَّلَاةِ ، يَبْكِي ﷺ فِي صَلَاتِهِ

¹[رواه الترمذي وقال: حديثٌ حسنٌ].

².[]

⁴.[]

⁵[كأزير المرجل : أي غليان كغليان القدر].

⁶[أخرجه أبو داود في الصلاة].

فَيُسْمَعُ لَصَدْرِهِ صَوْتُ كالماء الذي يغلي من شدة الحرارة فيه مِنَ الْبُكَاءِ، لأنه في صلاة، لأنه واقف بين يدي الله، خائفاً منه جَلَّالاً خاشعاً له تَعَالَى، كم بكى النبي ﷺ كثيراً وسالت دموعه كثيراً، وهو المغفور له ما تقدم من ذنبه وما تأخر !.

لنلقي نظرة عن حال السلف في الصلاة وحالنا:

عائشة رضي الله عنها؛ قال القاسم بن محمد رضي الله عنه: "غدوت يوماً وكنت بدأت بعائشة رضي الله عنها أسلم عليها فإذا هي تصلي الضحى وتقرأ ﴿فَمَنْ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ﴾^١، وتبكي وتدعو وتردد الآية، فقممت حتى مللت وهي كما هي، فلما رأيت ذلك ذهبت إلى السوق فقلت أفرغ من حاجتي ثم أرجع ففرغت من حاجتي ثم رجعت وهي كما هي تردد وتبكي وتدعو."

- عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: لَمَّا اشْتَدَّ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَجَعُهُ قِيلَ لَهُ فِي الصَّلَاةِ، فقال: مُرُّوا أبا بكرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ، فقالت عائشة رضي الله عنها: إِنَّ أبا بكرٍ رَجُلٌ رَقِيقٌ، إِذَا قَرَأَ الْقُرْآنَ غَلَبَهُ الْبُكَاءُ، فقال: "مُرُّوهُ فَلْيُصَلِّ".

وفي رواية: عن عائشة رضي الله عنها قالت: "قلتُ: إِنَّ أبا بكرٍ إِذَا قَامَ مَقَامَكَ لَمْ يُسْمَعْ النَّاسَ مِنَ الْبُكَاءِ"^٢.

- وقال ابن كثير: "قال سفيان الثوري: قرأ عمر بن الخطاب رضي الله عنه سورة مريم فسجد وقال: " هذا السجود فأين البكي ؟ يريد البكاء".

- خرج أمير المؤمنين عمر بن الخطاب من بيته ليصلي بالناس صلاة الفجر .. يدخل المسجد .. تقام الصلاة .. يتقدم عمر و يسوي الصفوف .. يكبر فما هو إلا أن كبر حتى تقدم إليه المجرم أبو لؤلؤة المجوسي فيطعنه عدة طعنات بسكين ذات حدين.

أما الصحابة الذين خلف عمر فذهلوا وسقط في أيديهم أمام هذا المنظر المؤلم.

وأما من كان في خلف الصفوف في آخر المسجد فلم يدروا ما الخبر .. فما إن فقدوا صوت عمر

^١ [الطور: ٢٧].
^٢ [متفق عليه].

رفعوا أصواتهم : سبحان الله .. سبحان الله ، ولكن لا مجيب.

يتناول عمر يد عبد الرحمن بن عوف فيقدمه فيصللي بالناس ، يحمل الفاروق إلى بيته .. فيغشى عليه حتى يسفر الصبح ، اجتمع الصحابة عند رأسه فأرادوا أن يوقظوه، ليفيق من غشيته ، فتذكروا أن قلب عمر معلق بالصلاة ، فقال بعضهم : إنكم لن تفرعوه بشيء مثل الصلاة إن كانت به حياة ، فصاحوا عند رأسه : الصلاة يا أمير المؤمنين ، الصلاة !..!

فانتبه من غشيته وقال: الصلاة والله ، ثم قال لا بن عباس : أصلى الناس ؟ قال : نعم ، قال عمر: لا حظ في الإسلام لمن ترك الصلاة ، ثم دعا بالماء فتوضأ و صلى وإن جرحه لينزف دمًا.

- ذكر أن علي بن الحسين كان وجهه يصفر اثناء الوضوء خوفاً من الله عز وجل ،

وعندما سئل عن السبب فقال : أتعلمون بين يدي من أقف ؟.

أما حالنا مع الصلاة محزن، وحال الشباب مع الجمعات محزن، أين الشباب في الجماعات وهم يتنعمون بكامل قوتهم وعافيتهم وصحتهم، ما هو عذرهم يوم القيامة؟.

- كان الربيع بن خثيم يقاد إلى الصلاة وبه الفالج ف قيل له : قد رخص لك . قال : إني أسمع " حي على الصلاة " فإن استطعتم أن تأتوها فأتوها ولو حبواً .

- وسمع عامر بن عبد الله بن الزبير المؤذن وهو يجود لنفسه فقال : خذوا بيدي ف قيل : إنك عليل ، قال : أسمع داعي الله فلا أجيبه .؟! فأخذوا بيده فدخل مع الإمام في المغرب فركع ركعة ثم مات.

- وكان سعيد بن عبدالعزيز إذا فاتته صلاة الجماعة بكى .

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه صورة لحال الصحابة مع صلاة الجماعة فيقول : "وَلَقَدْ رَأَيْنَا وَمَا يَتَخَلَفُ عَنِ الصَّلَاةِ إِلَّا مُنَافِقٌ مَعْلُومُ النَّفَاقِ"^١.

^١[رواه مسلم].

فأين النائمون عن صلاة الفجر وعن صلاة العصر الذين أنعم الله عليهم وأصحّ لهم أجسامهم ؟ وما هو عذرهم أمام الله تعالى يوم يقفون بين يدي الله ؟.

ثبت عنه ﷺ أنه قال " لَا يَزَالُ قَوْمٌ يَتَأَخَّرُونَ حَتَّى يُؤَخِّرَهُمُ اللَّهُ."

قال النووي : "يتأخرون أي عن الصفوف الأول حتى يؤخرهم الله تعالى عن رحمته أو عظيم فضله ورفع المنزلة وعن العلم ونحو ذلك".

حالنا فمؤسف، فقد أصبحت الصلاة ثقيلة على كثير من الناس، وكثير منهم إذا كبر أو ما بحركات لا خشوع فيها ولا روحانية ، ونقرها كنقر الغراب لا يذكر الله فيها إلا قليلاً .

من هو أسوء الناس سرقة، أسوء سروق ، أسوء حرامي؟ هل هو سارق مال فقير أو يتيم؟ كلا، !
قال ﷺ: "أَسْوَأُ النَّاسِ سَرِقَةً الَّذِي يَسْرِقُ مِنْ صَلَاتِهِ، قالوا: يا رسول الله، وكيف يسرق من صلاته؟
قال: "لَا يُتِمُّ رُكُوعَهَا وَلَا سُجُودَهَا -أو قال: لَا يُقِيمُ صَلَاتَهُ فِي الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ"¹.

ووالله أخشى لو كان رسول الله ﷺ حياً بيننا لقال لكثير منّا : ارجعوا فصلوا ، فإنكم لم تصلوا.

فعلى المسلم والمسلمة أن يسعوا جاهدين إلى بذل أسباب الخشوع فيها وأن يدعوا الله بالخشوع واقامتها ظاهراً وباطناً على الوجه الذي يرضي الله تعالى، وأن يتذكر إنه ليس له من صلاته إلا ما عقل منها، فالغفلة تنقص من أجر الصلاة وإن كانت مقبولة، لكنها ناقصة بقدر الخلل في الصلاة، فالصلاة مناجاة للرب وهي عمود الدين، وأول ما يحاسب عليها العبد يوم القيامة، وعليها يتعلق قبول سائر الأعمال فإن صلحت صلح سائر العمل وإن فسدت فسد سائر العمل، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : "إِنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عَمَلِهِ صَلَاتُهُ فَإِنْ صَلَحَتْ فَقَدْ أَفْلَحَ وَأَنْجَحَ وَإِنْ فَسَدَتْ فَقَدْ خَابَ وَخَسِرَ"².

¹ [أخرجه أحمد (٢٢٦٤٢) واللفظ له، والدارمي (١٣٢٨)، وابن خزيمة (٦٦٣)].

² [صححه الألباني في " صحيح سنن الترمذي "].

(وَإِنْ فَسَدَتْ) بِأَنْ لَمْ تُؤَدَّ ، أَوْ أُدِّيتْ غَيْرَ صَحِيحَةٍ ، أَوْ غَيْرَ مَقْبُولَةٍ.

(فَقَدْ خَابَ) بِحِزْمَانِ الْمَثُوبَةِ (وَحَسِرَ) بِوُقُوعِ الْعُثُوبَةِ. قال القارىء في " مرقاة المفاتيح:

فالمطلوب من المصلي أن يخشع في صلاته، وأن يقبل عليها، فإنه ليس له من صلاته إلا ما عقل منها، وخشع فيها ، فما خشع فيها كان له ثوابها، وما فرط في الخشوع يفوته ثوابها، فينبغي للعبد أن يقبل على الصلاة، بقلب خاشع، ويتذكر المصلي أنه يقف بين يدي الله، ويتذكر عظمته ﷻ وأنه إذا أقبل ، أقبل الله عليه، وإذا أعرض ، أعرض الله عنه.

نسأل الله العفو والعافية ونسأله أن يتوب علينا وأن يذهب فساد قلوبنا، ونسأله أن يجعل الصلاة قرّة أعيننا وأن يرزقنا الإخلاص والخشوع فيها، أسأل الله أن يجعلنا من الخاشعين، الذين مدحهم في كتابه قال الله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾.

ويجعلنا من الذين قال تعالى عنهم: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ * فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^١.
فهلا سكبنا الدموع أسفاً على تقصيرنا؟ هلا سكبنا الدموع حياءً من الله تعالى؟ الرسول ﷺ يبكي خشوعاً من آية، ويصلي حتى تتورم قدماه وهو قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تقدم، ونحن نقدم صلاة ركيكة لا روح فيها ولا خشوع ولا نبكي؟ نتأخر عن الصلاة وننام عنها ولا نبكي؟ اللهم ارزقنا قلوباً خاشعة، وتب علينا وارحمنا برحمتك يا أرحم الراحمين.

٣: بكاؤه - ﷺ - رحمة بأمته.

● روى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو - رضي الله عنهما - أَنَّ النَّبِيَّ - ﷺ - : «تَلَا قَوْلَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي إِبْرَاهِيمَ: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي﴾^٢ الْآيَةَ، وَقَالَ عِيسَى عَلَيْهِ

١ [السجدة: ١٧/١٦].

٢ [إبراهيم: ٣٦].

السَّلَامُ: ﴿إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرَ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾^١، فَرَفَعَ يَدَيْهِ وَقَالَ: «اللَّهُمَّ أُمَّتِي أُمَّتِي» وَبَكَى. فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: «يَا جِبْرِيلُ اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ، وَرَبُّكَ أَعْلَمُ، فَسَلِّمْهُ مَا يُبْكِيكَ؟» فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فَسَأَلَهُ فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - بِمَا قَالَ، وَهُوَ أَعْلَمُ، فَقَالَ اللَّهُ: «يَا جِبْرِيلُ، اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ، فَقُلْ: إِنَّا سَنَرْضِيكَ فِي أُمَّتِكَ، وَلَا نَسُوءُكَ»^٢.

(اللَّهُمَّ أُمَّتِي أُمَّتِي): أي اللهم ارحم وارفق بأمتي.

" فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ بِمَا قَالَ. وَهُوَ أَعْلَمُ. فَأَخْبَرَ جِبْرِيلُ رَبَّهُ - وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِ فَقَالَ اللَّهُ...

" وَلَا نَسُوءُكَ ": قال النووي رحمه الله: وأما قوله تعالى " وَلَا نَسُوءُكَ " فقال صاحب التحرير: هو تأكيد للمعنى أي لا نحزنك، لأن الإرضاء قد يحصل في حق البعض بالعفو عنهم، ويدخل الباقي النار، فقال تعالى: " نَرْضِيكَ وَلَا نَدْخُلُ عَلَيْكَ حُزْنًا بَلْ نُنْجِي الْجَمِيعَ " والله أعلم " ^٣.

وفي الحديث كمال **شفقة النبي ﷺ** على أمته واعتنائه واهتمامه بأمرهم حتى بكى ﷺ بعدما تلا طلب أخويه إبراهيم وعيسى عليهما السلام لأقوامهما قام داعياً رافعاً يديه باكياً ملحاً بطلب المغفرة لقومه قائلاً " اللَّهُمَّ أُمَّتِي أُمَّتِي. " أي: ارحمهم واعف عنهم.

كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَوْوفاً رَحِيماً، حريصاً على أمته **السَّابِقَةِ**، قال تعالى عنه ﷺ: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾^٤.

كَانَ كَثِيراً مَا يَدْعُو لِلْأُمَّةِ أَلَّا تُهْلِكَ كَمَا هَلَكَتِ الْأُمَمُ السَّابِقَةُ، يَبْكِي عَلَيْنَا ﷺ وَلَمْ يَرَانَا، يَبْكِي عَلَيْنَا وَيَدْعُو اللَّهَ لَنَا وَلَمْ يَرَانَا، يَبْكِي شَفَقَةً عَلَيْنَا وَخَوْفاً عَلَيْنَا، وَنَحْنُ لَمْ نَبْكِي عَلَى أَنْفُسِنَا، نَبَارِزُ اللَّهَ بِالذُّنُوبِ وَالْمَعَاصِي، وَلَا نَبْكِي عَلَى أَنْفُسِنَا، نَجَاهِرُ بِالْمَعَاصِي لَيْلًا وَنَهَارًا وَلَا نَبْكِي عَلَى أَنْفُسِنَا.

١ [المائدة: ١١٨].

٢ [رواه مسلم].

٣ (شرح النووي) ٣ / ٧٤.

٤ [التوبة: ١٢٨].

٤ : بكاءه - ﷺ - حزنا على موت إبراهيم:

● عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - : «وُلِدَ لِي اللَّيْلَةُ غُلَامًا، فَسَمَّيْتُهُ بِاسْمِ أَبِي إِبْرَاهِيمَ»، ثُمَّ دَفَعَهُ إِلَى أُمِّ سَيْفٍ، امْرَأَةٍ قَيْنٍ يُقَالُ لَهُ أَبُو سَيْفٍ، فَانْطَلَقَ يَأْتِيهِ وَاتَّبَعْتُهُ، فَأَنْتَهَيْنَا إِلَى أَبِي سَيْفٍ وَهُوَ يَنْفُخُ بِكَبِيرِهِ، قَدْ امْتَلَأَ الْبَيْتُ دُخَانًا، فَأَسْرَعْتُ الْمَشْيَ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - فَقُلْتُ: يَا أَبَا سَيْفٍ أَمْسِكْ، جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - رَدًا، فَأَمْسَكَ فَدَعَا النَّبِيَّ - ﷺ - بِالصَّبِيِّ، فَضَمَّهُ إِلَيْهِ، وَقَالَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقُولَ، فَقَالَ أَنَسٌ: لَقَدْ رَأَيْتُهُ وَهُوَ يَكِيدُ بِنَفْسِهِ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - ، فَدَمَعَتْ عَيْنَا رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - فَقَالَ: «تَدْمَعُ الْعَيْنُ وَيَحْزَنُ الْقَلْبُ، وَلَا نَقُولُ إِلَّا مَا يَرْضَى رَبَّنَا، وَاللَّهِ يَا إِبْرَاهِيمُ إِنَّا بِكَ لَمَحْزُونُونَ»^١.

الرسول ﷺ كان يبكي كما يبكي البشر ويضحك كما يضحك البشر، كان قلبه يفيض بالحنان والرحمة، توفي إبراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم من مارية القبطية، سماه الرسول على أبيه أبو الأنبياء إبراهيم عليه السلام، لما توفاه الله حزن عليه ودمعت عيناه وهذه طبيعة البشر، ضمه إليه وقال: "تَدْمَعُ الْعَيْنُ وَيَحْزَنُ الْقَلْبُ، وَلَا نَقُولُ إِلَّا مَا يَرْضَى رَبَّنَا، وَاللَّهِ يَا إِبْرَاهِيمُ إِنَّا بِكَ لَمَحْزُونُونَ".

كيف لا يحزن ﷺ وهو بالمؤمنين رؤوفاً رحيماً، عندما دخل رسول الله - ﷺ - على ابنه إبراهيم وهو يقارب الموت، قبله وضمه وشمه ﷺ، وبكى ونزلت دموعه، فقال له عبد الرحمن بن عوف: وأنت يا رسول الله ؟ على معنى التعجب، أي : الناس لا يصبرون على المصيبة وأنت تفعل كفعالهم؟ كأنه تعجب لذلك منه لأنه ﷺ هو الذي يحث الناس على الصبر وينهى عن الجزع، فأجابه بقوله: "إنها رحمة".

فالرحمة لا تنافي الصبر والإيمان بالقدر، والحزن غريزة لا يلام الإنسان عليه عند المصائب، لكن المؤمن لا يقول عند المصيبة ولا يفعل إلا ما يرضي الله عز وجل.

^١[رواه مسلم].

(تدمع العين) وكذلك البكاء عند المصيبة غريزة إنسانية لا يَأْتُم عليها المرء طالما لم يتخلَّه سَخَطٌ أو نَوْخٌ أو عَدَمُ رِضًا بقضاء الله وقدره.

الرسول ﷺ قد ابتلي بكل صنوف الابتلاء، وكان منها أن فقد كل أولاده بنين وبنات في حياته، ولم تبقى -بعده- سوى فاطمة رضي الله عنها وأرضاها، فعلم بموتها على إثر علمه بموته، فماتت بعده بستة أشهر .

الإنسان يصاب في هذه الدنيا بأنواع من المصائب ومنها فقد الولد، ومصيبة فقد الولد مصيبة عظيمة، لذلك رتب الله عليها الثواب العظيم لمن صبر واحتسب، قال علي بن أبي طالب للأشعث ابن قيس عند فقد ولده: "إِنَّكَ إِنْ صَبِرْتَ جَرَى عَلَيْكَ الْقَدَرُ وَأَنْتَ مَاجُورٌ، وَإِنْ جَزَعْتَ جَرَى عَلَيْكَ وَأَنْتَ مَأْثُومٌ"^١.

إن فقد الولد شديد على النفس، ولكن ينبغي أن يستحضر المؤمن قوة الصبر في البداية، "فإنما الصبر في الصدمة الأولى" كما جاء: عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: مَرَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِامْرَأَةٍ تَبْكِي عِنْدَ قَبْرِ، فَقَالَ: «اتَّقِي اللَّهَ وَاصْبِرِي»، فَقَالَتْ: إِلَيْكَ عَنِّي؛ فَإِنَّكَ لَمْ تُصَبِّ بِمُصِيبَتِي، وَلَمْ تَعْرِفْهُ، فَقِيلَ لَهَا: إِنَّهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَاتَتْ بَابَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمْ تَجِدْ عِنْدَهُ بَوَّابِينَ، فَقَالَتْ: لَمْ أَعْرِفْكَ، فَقَالَ: "إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الْأُولَى"^٢.

"(إنما الصبر عند الصدمة الأولى) يعني: الصبر الذي فيه الثواب والأجر هو ما يحصل عند أول المصيبة من موت قريب أو مرض أو مفاجأة بشيء يضر الإنسان يصبر ويحتسب، فلا يجزع، ولا يتكلم بسوء، ولا يفعل ما لا ينبغي عند الصدمة الأولى، فيثاب على ذلك.

أما إذا فعل ما لا ينبغي ثم صبر بعد ذلك فهذا ما ينفع، الصبر لا بد منه، سوف يقع، سوف يتسلى بعد ذلك إذا طالت المدة كصبر البهائم هذا لا ينفع، الصبر الذي فيه الأجر العظيم عند الصدمة

[٥٠٧١] ((أدب الدنيا والدين)) للماوردي (ص ٢٨٨).

[٢] متفق عليه: أخرجه البخاري (١٢٨٣)، ومسلم (٩٢٦)...

الأولى، عند أول ما تنزل به المصيبة من موت أو غيره يتحمل ولا يجزع ولا ينح ولا ينتف شعراً ولا يشق ثوباً، ولا يرفع صوته بالنياحة، هكذا يكون الصبر، بل يتحمل ويسأل ربه التوفيق، ويقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، قدر الله وما شاء فعل، ولا يجزع، ولا يفعل ما لا ينبغي، ولا يقل ما لا ينبغي".

وعد الله تعالى على لسان رسوله من صبر واحتسب أن يعوّضه في مصيبته خيراً مما أخذ منه.

عن أم سلمة أن أبا سلمة حدّثها أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: "مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُصَابُ بِمُصِيبَةٍ فَيَفْرَعُ إِلَى مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿إِنَّا لِلَّهِ، وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾، اللَّهُمَّ عِنْدَكَ احْتَسَبْتُ مُصِيبَتِي فَأَجِرْنِي فِيهَا وَعَوِّضْنِي مِنْهَا، إِلَّا آجَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهَا، وَعَوَّضَهُ خَيْرًا مِنْهَا"، قالت: فلما تُوفي أبو سلمة ذكرت الذي حدّثني عن رسول الله ﷺ فقلت: إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم عندك احتسبت مصيبتى هذه فأجرنى عليها، فإذا أردت أن أقول: وَعَوِّضْنِي خَيْرًا مِنْهَا، قلت: في نفسي أعض خيراً من أبي سلمة؟ ثم قلتها، فعاضني الله محمداً ﷺ، وآجرنى في مُصِيبَتِي^١.

تذكروا أن كل ما بين أيدينا من مال وبنين ودائع وأمانات:

وما المال والأهلون إلا ودائع || ولا بد يوماً أن ترد الودائع

الرسول ﷺ فقد كل أولاده بنين وبنات في حياته، سوى فاطمة وعلم أنها ستموت بعده بقليل، وصبر واحتسب ذلك عند الله.

لنقف مع آيات من كتاب الله عز وجل، وكفى بها واعظاً، وكفى بها مسليةً، وكفى مذهبة للهموم ، قال الله تعالى : ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ {١٥٥} الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ {١٥٦} أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ^٢ .

هذا ما أمرنا بقوله : ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾، علاج رباني عند المصيبة، علاج من الله عز وجل

١ [رواه ابن ماجه (١٥٩٨) وصححه الألباني].

٢ [سورة البقرة ١٥٦، ١٥٥].

لكل من أصيب بمصيبة صغيرة كانت أم كبيرة،، بل إنه أبلغ علاج وأنفعه للمصاب ، وما لنا لا نصبر وقد قال لنا الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا يُوفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾.

وما لنا لا نصبر وفيها تكفير للسيئات، فعن أبي سعيدٍ وأبي هريرة رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: "ما يُصِيبُ الْمُسْلِمَ، مِنْ نَصَبٍ وَلَا وَصَبٍ، وَلَا هَمٍّ وَلَا حُزْنٍ وَلَا أَذًى وَلَا غَمٍّ، حَتَّى الشُّوْكَةِ يُشَاكُهَا، إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ"^١.

حتى الشوكة: كناية إلى أن المصائب فيها تكفير للسيئات والخطايا وإن كانت المصيبة صغيرة، سبحانه من كريم، والله لن نعدم من رب كريم ﷻ.

٥: بكاءه - ﷺ - عند موت عثمان بن مظعون ﷺ.

● عن القاسم بن محمد عن عائشة - رضي الله عنها -: " أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - قَبَلَ عُثْمَانَ بْنَ مَظْعُونٍ وَهُوَ مَيِّتٌ وَهُوَ يَبْكِي أَوْ قَالَ عَيْنَاهُ تَهْرَقَانِ"^٢.

فيه دليل على جواز تقبيل الميت بعد الوفاة كما قبل الرسول ﷺ عُثْمَانَ بْنَ مَظْعُونٍ وَهُوَ مَيِّتٌ، وتقبيل الميت يجوز سواء كانوا من أقاربه أو من غيرهم ، فيجوز للرجال أن يقبلوا الرجل الميت ، ويجوز للنساء أن يقبلن المرأة الميتة ، فعن عائشة رضي الله عنها : " أَنَّ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ رضي الله عنه قَبَلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ مَوْتِهِ"^٣.

قال النووي رحمه الله : "يجوز لأهل الميت وأصدقائه تقبيل وجهه ، ثبت فيه الأحاديث" وقال الحافظ رحمه الله : "فيه جواز تقبيل الميت ... انتهى"^٤.

قال الشوكاني رحمه الله : لأنه لم ينقل أنه أنكر أحد من الصحابة على أبي بكر ، فكان إجماعاً انتهى وكذلك لا حرج على المرأة أن تقبل زوجها بعد الوفاة.

^١[متفقٌ عليه].

^٢: [أخرجه الترمذي (برقم ٩٨٩)، وأبو داود (برقم ٣١٦٣)، وابن ماجه (برقم ١٤٥٦)].

^٣[رواه البخاري . (٤٤٥٧)].

^٤[انتهى من "شرح المذهب. (٥/١١١)].

قال الشيخ ابن باز رحمه الله : " لا بأس بتقبيل الميت إذا قبله أحد محارمه من النساء ، أو قبله أحد من الرجال ، كما فعل أبو بكر الصديق رضي الله عنه مع النبي صلى الله عليه وسلم " ^١.

وكذلك يستحب تغميض عينين الميت بعد موته:

فَعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ - رضي الله عنها - قالت: "دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى أَبِي سَلَمَةَ وَقَدْ شَقَّ بَصْرُهُ، فَأَغْمَضَهُ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ الرُّوحَ إِذَا قُبِضَ تَبِعَهُ الْبَصَرُ، فَضَجَّ نَاسٌ مِنْ أَهْلِهِ، فَقَالَ: لَا تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ إِلَّا بِخَيْرٍ، فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ يُؤْمِنُونَ عَلَى مَا تَقُولُونَ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِأَبِي سَلَمَةَ وَارْفَعْ دَرَجَتَهُ فِي الْمَهْدِيِّينَ، وَاخْلُفْهُ فِي عَقِبِهِ فِي الْغَابِرِينَ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلَهُ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ، وَافْسَحْ لَهُ فِي قَبْرِهِ، وَنَوِّرْ لَهُ فِيهِ، [وفي رواية]: نَحْوَهُ، غَيْرَ أَنَّهُ قَالَ: وَاخْلُفْهُ فِي تَرْكَتِهِ، وَقَالَ: اللَّهُمَّ أَوْسِعْ لَهُ فِي قَبْرِهِ، وَلَمْ يَقُلْ: اْفْسَحْ لَهُ" ^٢.

(وقد شقَّ بصره) أي: بقي بصره مُنْفَتِحًا ومُتَّسِعًا بعد أن خَرَجَتْ رَوْحُهُ إلى بَارئِهَا، وظلَّ شاخصًا، كما في حديث أبي هريرة عند مسلمٍ مرفوعًا: "أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا مَاتَ شَخَصَ بَصْرُهُ؟ قَالُوا: بَلَى، قَالَ: فَذَلِكَ حِينَ يَتَّبِعُ بَصْرُهُ نَفْسَهُ." قال صلى الله عليه وسلم: (إِنْ الرُّوحَ إِذَا قُبِضَ اتَّبَعَهُ الْبَصَرُ) : (فَأَغْمَضَهُ)، أي: أَغْمَضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَيْنِي أَبِي سَلَمَةَ.

وفي الحديث المذكور : (وَهُوَ يَبْكِي أَوْ قَالَ عَيْنَاهُ تَهْرَاقَانِ) : قبله وبكى صلى الله عليه وسلم صاحب القلب الرحيم ليس جزعاً ولا اعتراضاً إنما حزنا عليه صلى الله عليه وسلم، قبله وبكى وقال:رواية أخرى: (رَحِمَكَ اللَّهُ يَا عُثْمَانُ، مَا أَصَبْتَ مِنَ الدُّنْيَا وَلَا أَصَابَتْ مِنْكَ " ^٣.

عُثْمَانُ بْنُ مَطْعُونٍ هو صحابي جليل رضي الله عنه، أخو رسول الله صلى الله عليه وسلم من الرضاعة، أحد السابقين إلى الإسلام، كان كثير العبادة رضي الله عنه، من أشد الناس اجتهادًا في العبادة، يصوم النهار ويقوم الليل، أَرَادَ أَنْ

^١ [انتهى من "مجموع الفتاوى" (١٠٢/١٣)].

^٢ [رواه مسلمٌ]

^٣ [[حلية الأولياء لأبي نعيم]]،.

يَخْتَصِي ، فقال له رسول الله ﷺ: "أَلَيْسَ لَكَ فِي أُسْوَةٍ حَسَنَةٍ؟ فَأَنَا آتِي النِّسَاءَ وَأَكُلُ اللَّحْمَ وَأَصُومُ وَأُفْطِرُ ، إِنَّ خِصَاءَ أُمِّي الصَّيَّامُ وَلَيْسَ مِنْ أُمِّي مَنْ خَصَى أَوْ اخْتَصَى"¹.

قال سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ ﷺ: "لَقَدْ رَدَّ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عَلَى عُثْمَانَ بْنِ مَظْعُونٍ التَّبَتُّلَ وَلَوْ أَدْنَى لَهُ فِي ذَلِكَ لَخْتَصَى"، المراد بالتبتل: الانقطاع عن النكاح ، فنهاه رسول الله ﷺ .

- قال الطبري: التبتل الذي أراده عثمان بن مظعون تحريم النساء والطيب، فأنزل الله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْرِمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ﴾².

لم يأذن له الرسول ﷺ، لأن ترك ملاذ الحياة والانقطاع للعبادة، من العلو في الدين والرهبانية المذمومة.

وَدَخَلَتْ امْرَأَةُ عُثْمَانَ بْنِ مَظْعُونٍ عَلَى نِسَاءِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَرَأَيْنَهَا سَيِّئَةً الْهَيْئَةِ فَقُلْنَ هَذَا: مَا لَكَ؟ فَمَا فِي فُرْشِ أَغْنَى مِنْ بَعْلِكَ، قَالَتْ: مَا لَنَا مِنْهُ شَيْءٌ، أَمَا لَيْلُهُ فَقَائِمٌ وَأَمَّا نَهَارُهُ فَصَائِمٌ، فَدَخَلَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَذَكَرَنَ ذَلِكَ لَهُ. فَلَقِيَهُ فَقَالَ: "يَا عُثْمَانُ بْنُ مَظْعُونٍ أَمَا لَكَ بِي أُسْوَةٌ؟ فَقَالَ: بَأبي وَأُمِّي. وَمَا ذَاكَ؟ قَالَ: تَصُومُ النَّهَارَ وَتَقُومُ اللَّيْلَ. قَالَ: إِنِّي لَأَفْعَلُ". قَالَ: لَا تَفْعَلْ. إِنَّ لِعَيْنَيْكَ عَلَيْكَ حَقًّا وَإِنَّ لِحَسَدِكَ حَقًّا وَإِنَّ لَأَهْلِكَ حَقًّا فَصَلِّ وَصُمْ وَأُفْطِرْ"³.

وفي رواية: أَنَّ عُثْمَانَ بْنَ مَظْعُونٍ اتَّخَذَ بَيْتًا فَمَعَدَ يَتَعَبَّدُ فِيهِ فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَأَتَاهُ فَأَخَذَ بَعْضَادَتِي بَابِ الْبَيْتِ الَّذِي هُوَ فِيهِ فَقَالَ: يَا عُثْمَانُ إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَبْعَثْنِي بِالرَّهْبَانِيَّةِ. مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا. وَإِنَّ خَيْرَ الدِّينِ عِنْدَ اللَّهِ الْخَنِيفَةُ السَّمْحَةُ"⁴.

¹ [السلسلة الصحيحة ٤/٤٤٥]،

² [المائدة: ٨٧].

³ [السلسلة الصحيحة].

⁴ [السلسلة الصحيحة].

قال: فأتتهم المرأة بعد ذلك عاطرة كأنها عروس، فقلن لها: مه؟ ما الخبر؟ فقالت: أصابنا ما أصاب الناس، يعني رجعنا للحالة الطبيعية مثل بقية النساء الذين هن أزواج يهتمون بهن^١.

٦: بكاءه - ﷺ - رحمة.

• عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: "أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - ابْنَتَهُ لَهُ تَقْضِي فَاخْتَضَنَهَا فَوَضَعَهَا بَيْنَ يَدَيْهِ فَمَاتَتْ وَهِيَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَصَاحَتْ أُمُّ أَيْمَنَ"، فَقَالَ يَعْنِي - ﷺ - : «أَتَبْكِينَ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ» فَقَالَتْ: "أَلَسْتُ أَرَاكَ تَبْكِي"، قَالَ: «إِنِّي لَسْتُ أَبْكِي إِنَّمَا هِيَ رَحْمَةٌ، إِنَّ الْمُؤْمِنَ بِكُلِّ خَيْرٍ عَلَى كُلِّ حَالٍ، إِنَّ نَفْسَهُ تَنْزِعُ مِنْ بَيْنِ جَنْبَيْهِ وَهُوَ يَحْمَدُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ»^٢.

وفي هذا الحديث يحكي عبدُ الله بنُ عباسٍ رضي الله عنهما: أنه "لَمَّا حَضَرَتْ بِنْتُ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَغِيرَةٌ"، بصيغة المجهول، أي: حَضَرَهَا أَجْلُهَا وجاءَتْها الوفاة، ولم يذكر اسمها، "فأخذها رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلم"، أي: أخذَ ابنته الصَّغِيرَةَ، فَضَمَّ رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلم ابنته الصَّغِيرَةَ وحَضَنَهَا إلى صدره، "ثُمَّ وَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهَا فَقَضَتْ"، أي: ماتَتْ وانتهى أَجْلُهَا، "وهي بينَ يَدَيَّ رسولِ الله صَلَّى الله عليه وسلم"، أي: على يَدِهِ وهو حَامِلُهَا، "فَبَكَتْ" بَرَفَعَ صَوْتَهَا، "أُمُّ أَيْمَنَ"، ويُقال: اسمُها بَرَكَةُ، وقيل: تُعْرَفُ بِأُمِّ الطَّبَّاءِ، وهي مَوْلَاةُ النَّبِيِّ صَلَّى الله عليه وسلم، وحاضنته، وهي والدَةُ أسامةَ بنِ زيدٍ، ماتَتْ في خلافةِ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ، فقال لها رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلم لَأُمِّ أَيْمَنَ: "يَا أُمُّ أَيْمَنَ، أَتَبْكِينَ ورسولُ الله عندكِ؟"، وهو استِفْهَامٌ إنكارِيٌّ، أي: كيف تَبْكِينَ بصوتٍ مرتفعٍ، وأنا عندكِ؟! فقالت أُمُّ أَيْمَنَ: "ما لي لا أبكي"، أي: كيف لا أبكي "ورسولُ الله يبكي؟!" فأنا أبكي لبكائه، "فقال رسولُ الله: إِنِّي لَسْتُ أَبْكِي"، أي: بَرَفَعَ الصَّوْتِ والصَّيَاحِ، "ولكنَّها رَحْمَةٌ"، أي: أبكي فقط بالدَّمْعِ وهي رَحْمَةٌ، وأما بَرَفَعَ الصَّوْتِ فلا.

ثمَّ قال رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلم: "المؤمنُ بخيرٍ على كلِّ حالٍ"، أي: إنَّ جميعَ أحوالِ المؤمنِ له خيرٌ؛ في حالِ السَّرَّاءِ يشكُرُ الله تعالى، فله الخيرُ والأجرُ من الله سبحانه وتعالى، وفي حالِ الضَّرَّاءِ

١ [رواه ابن حبان، وصححه الألباني]. صحيح ابن حبان: ٣١٦، التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان: ١/٣٥٧.

٢ [أخرجه النسائي في الجنائز باب في البكاء على الميت (٤/١١)].

يَصْبِرُ وَيَحْمَدُ اللَّهَ تَعَالَى وَيَرْضَى بِقَضَائِهِ، وَمَنْ صَبَرَ أَنَّهُ "تَنَزَّعَ نَفْسُهُ"، أَي: تَخَرَّجَ رُوحُهُ، "مِنْ بَيْنِ جَنَبَيْهِ، وَهُوَ يَحْمَدُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ"، وَيَرْضَى بِقَضَاءِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فَلَمْ يَجْزَعْ، بَلْ إِنَّهُ يَحْمَدُ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَيَصْبِرُ، فَلَهُ خَيْرٌ وَثَوَابٌ عَظِيمٌ مِنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَفِي الْحَدِيثِ: مَشْرُوعِيَّةُ الْبُكَاءِ عَلَى الْمَيِّتِ بِلَا صِيَاحٍ، وَفِيهِ: بَيَانٌ لِرَحْمَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَشَفَقَتِهِ"^١.

٧: بكاؤه - ﷺ - عند دفن ابنته:

● عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-، قَالَ: "شَهِدْنَا بِنْتًا لِرَسُولِ اللَّهِ -ﷺ-، قَالَ: وَرَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- جَالِسٌ عَلَى الْقَبْرِ، قَالَ: فَرَأَيْتُ عَيْنَيْهِ تَدْمَعَانِ، قَالَ: فَقَالَ: «هَلْ مِنْكُمْ رَجُلٌ لَمْ يَقَارِفِ^٢ اللَّيْلَةَ؟» فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ: أَنَا، قَالَ: «فَانْزِلْ» قَالَ: فَنَزَلَ فِي قَبْرِهَا"^٣.

قال الحافظ ابن حجر عند شرحه الحديث: "قوله: شهدنا بنتاً للنبي ﷺ هي أم كلثوم زوج عثمان"^٤.

قال ابن الملقن: "لم يقارف: أي: لم يذنب، وقيل: لم يجامع أهله، وهو أظهر ... وذهب العلماء إلى أن زوج المرأة أولى بإلحادها من الأب والأم، ولا خلاف بينهم أنه يجوز للفاضل غير الولي أن يلحد المرأة إذا عدم الولي، ولما كان ﷺ أولى بالمؤمنين من أنفسهم، ولم يجز لأحد التقدم بين يديه في شيء؛ لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾^٥، ولم يكن لعثمان أن يتقدم بين يديه في إلحاد زوجته، وفيه فضل عثمان وإيثاره الصدق، حين لم يدع تلك المقارفة تلك الليلة، وإن كان عليه بعض الغضاضة في إلحاد غيره لزوجته"^٦.

١. [الدرر السنية].

٢. [لم يقارف الليلة: لم يفعل ذنباً كبيراً ولا صغيراً، وقيل معناه لم يجامع].

٣. [رواه البخاري].

٤. [رواه ابن سعد في ((الطبقات الكبرى)) ٣٨/٨].

٥. [الحجرات: ١].

٦. [١٠/ ٥٣] (١٠/ ٥٣) التوضيح لشرح الجامع الصحيح.

تبين فضلها ومنزلتها إذ أبدلها الله عز وجل بعد مفارقة ابن أبي لهب برجل حيي كريم تستحي منه الملائكة من أفضل صحابة رسول الله ﷺ، فكان نعم الزوج لها ونعمة الزوجة له، كما أنها حظيت ﷺ بأن يكون المصطفى ﷺ إمام المصلين على جنازتها وكفى بذلك منقبة"¹.

القبر وما أدراك ما القبر، هذا هو مكاننا ولا بد، روى الترمذي في سننه من حديث هانئ مولى عثمان - رضي الله عنه - قال: «كَانَ عُثْمَانُ إِذَا وَقَفَ عَلَى قَبْرِ بَكِي حَتَّى يَبْلُغَ لِحْيَتَهُ، فَقِيلَ لَهُ: تُذَكِّرُ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ فَلَا تَبْكِي وَتَبْكِي مِنْ هَذَا؟ فَقَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - قَالَ: «إِنَّ الْقَبْرَ أَوَّلُ مَنْزِلٍ مِنْ مَنَازِلِ الْآخِرَةِ، فَإِنْ نَجَا مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ أَيْسَرُ مِنْهُ، وَإِنْ لَمْ يَنْجُ مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ أَشَدُّ مِنْهُ»، قَالَ: وَسَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - يَقُولُ: «مَا رَأَيْتُ مَنْظَرًا قَطُّ إِلَّا وَالْقَبْرُ أَفْطَعُ مِنْهُ»².

ومن رحمته بالأموات - صلى الله عليه وسلم - كان يذهب بالليل ليقف على مقبرة البقيع، فيدعو لهم طويلاً، ويترحم عليهم طويلاً ﷺ، حتى أمه مع أنها ماتت على الشرك إلا أنه يذهب إلى قبرها ويبكي حتى تسيل لحيته ماءً من دموع النبي ﷺ.

فعن أبي هريرة قال: عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: زار رسول الله صلى الله عليه وسلم قبر أمه، فبكى وأبكى من حوله، وقال: استأذنت ربي عز وجل في أن أستغفر لها، فلم يؤذن لي، واستأذنت في أن أزور قبرها فأذن لي، فزوروا القبور؛ فإنها تذكركم الموت"³. (

أن في زيارة المقابر نفعا للحَيِّ وللْمَيِّتِ؛ للحَيِّ بتذكُّره الموت والآخرة، وللْمَيِّتِ بالدُّعاء له. [٩٠٤٧] ((إغاثة اللهفان)) لابن القيم (١/٢١٨).

حكم زيارة النساء للقبور: الراجح أنها لا تجوز؛

فعن أبي هريرة رضي الله عنه: "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن زوارات القبور"⁴، و عن

¹[انظر: ((الطبقات الكبرى)) (٣٨/٨)، و((العبر)) للذهبي (٩/١)، و((الإصابة)) (٤٦٦/٤)].

²[برقم ٢٣٠٨ وحسنه الألباني - رحمه الله - في صحيح سنن الترمذي (٢٦٧/٢) (برقم ١٨٧٨)].

³[مسند لم ٩٧٦].

⁴[أخرجه الترمذي (١٠٥٦)، وابن ماجه (١٥٧٦)].

أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: "أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّ بِامْرَأَةٍ تَبْكِي عِنْدَ قَبْرِ، فَقَالَ: اتَّقِ اللَّهَ وَاصْبِرِي"^١.

لأنَّ المرأةَ قليلةُ الصَّبْرِ، سريعةُ الجُرْعِ، وفي زيارتها للقبور تهيئُ لأحزانها، وربما أفضى بها ذلك إلى فعل ما لا ينبغي"^٢.

في البداية كانت جائزة للرجال والنساء، فعن بُرَيْدَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال: قال رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "هَيِّتْكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ فَرُوزُوهَا"^٣.
ثم نزل المنع للنساء وبقي الحكم للرجال.

وأمرنا رسول الله ﷺ أن نستعد للقبر بالعمل الصالح، روى ابن ماجه في سننه من حديث البراء - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قال: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - فِي جِنَازَةٍ، فَجَلَسَ عَلَى شَفِيرِ الْقَبْرِ، فَبَكَى حَتَّى بَلَ الشَّرَى، ثُمَّ قَالَ: "يَا إِخْوَانِي لِمِثْلِ هَذَا فَأَعِدُّوا"^٤. سنن ابن ماجه، الأرنبوط، (٥ / ٢٨٦)، تحقيق الألباني: حسن

إذا كان النبي - ﷺ - يبكي حتى تبل دموعه لحيته، وهو سيد الأولين والآخرين، المغفور له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فكيف بنا نحن المذنبين، نحن المسرفين، المقصرين؟

الموت لا بدَّ، وأين لنا المفر منه؟ كلُّ نفسٍ ستذوقه شاءت أم أبت، قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أَجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾^٥. [آل عمران: ١٨٥].

[١] أخرجه مسلم.

[٢] المغني: ٩٠٦، لابن قدامة (٤٢٥/٢).

[٣] أخرجه مسلم (٩٧٧).

كفى بالموت واعظاً، وفي تلك اللحظات الحرجة ينقسم الناس إلى فريقين: شقي وسعيد، فريق السعداء: ﴿تَنْزَلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ * نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ * نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ ١﴾

والله لو كان الأمر سينتهي بالموت لكان هيناً سهلاً، لكنه مع شدته وهوله أهون مما هو بعده ، والقبر مع ظلمته أهون من الذي بعده، كل ذلك هين إذا قُورِنَ بالوقوف بين يدي الله الكبير المتعال، يلتفت المرء يمينا فلم يرَ إلا ما قَدَّمَ، وشمالاً فلم يرَ إلا ما قَدَّمَ، وينظر تلقاء وجهه، فلم يرَ إلا النار، ما من موقف! في هذا الموقف تذهل المرصعة عما أرضعت، وتضع كل ذات حمل حملها، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى، في هذا الموقف يبلغ العرق أن يلجم الناس إجماءً، والشمس تدنو منهم قدر ميل، يا لها من أحداث عظيمة بمجرد تصوُّرها تنخلع القلوب.

فتصور نفسك يا عبد الله وأنت واقفٌ بين الخلائق إذ نوديَ باسمك، هلم إلى العرضِ على الله الكبير المتعال، لا تخفى عليه خافية، أين المفر من ذنوبنا؟ يقول الرب ﷻ: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾.

اعلموا أن الآمال تطوى، والأعمار تفتى، والأبدان تحت التراب تبلى، والحساب يوم الحساب تدنى ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم.

روي عن الحسن: أن رسول الله ﷺ كان رأسه ذات يوم في حجر عائشة، فنفس فتذكرت الآخرة فسالت دموعها على خد رسول الله ﷺ ، فأستيقظ بدموعها ورفع رأسه وقال ما يبكيك؟ قالت يا رسول الله ذكرْتُ الآخرة، فهل تذكرون أهليكم يوم القيامة؟

١[فصلت: ٣٠ - ٣٢].

قال ﷺ نفسي بيده في ثلاثة مواطن فإن أحداً لا يذكر إلا نفسه:

إذا وضعت الموازين حتى ينظر ابن آدم أينخف ميزانه أم يثقل، وعند الصحف حتى ينظر أيمينه يأخذ أم بشماله. وعند الصراط حتى ينظر أيمر أم يكرس على وجهه في جهنم .

الأمر خطير جد خطير، سننفرد في القبر وحدنا، فلنستعد لهذا اليوم، يوم الحساب ، يقول الله تعالى: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا ۚ وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا ۚ وَلَا يَظِلُّمُ لِرَبِّكَ أَحَدًا﴾ (٤٩)

نسأل الله تعالى أن يعاملنا بعفوه ولطفه، وأن يلين قلوبنا، وأن يذيب قسوتها، ونسأل الله تعالى أن يشبثنا وإياكم بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة، وأن يحيرنا من عذاب القبر.

٨: بكاءه - ﷺ - في صلاة الكسوف.

● عن عبد الله بن عمرو -رضي الله عنهما- قال: انكسفت الشمس على عهد رسول الله -ﷺ- ، فقام رسول الله -ﷺ- إلى الصلاة، وقام الذين معه فقام قائماً فأطال القيام، ثم ركَع فأطال الركوع، ثم رفع رأسه، وسجد فأطال السجود، ثم رفع رأسه وجلس فأطال الجلوس، ثم سجد فأطال السجود، ثم رفع رأسه، وقام فصنع في الركعة الثانية مثل ما صنع في الأولى من القيام، والركوع، والسجود، والجلوس فجعل ينفخ في آخر سجوده من الركعة الثانية، ويبكي ويقول: «لَمْ تَعَذِّنِي هَذَا، وَأَنَا فِيهِمْ لَمْ تَعَذِّنِي هَذَا، وَأَنَا فِيهِمْ وَنَحْنُ نَسْتَغْفِرُكَ»، ثم رفع رأسه، وانجلت الشمس فقام رسول الله -ﷺ- خطب الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «إِنَّ الشَّمْسَ، وَالْقَمَرَ آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ فَإِذَا رَأَيْتُمَا كُسُوفًا أَحَدَهُمَا فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَقَدْ أُذْنِبْتُ الْجَنَّةَ مِنِّي حَتَّى لَوْ بَسَطْتُ يَدَيَّ لَتَعَاطَيْتُ مِنْ قُطُوفِهَا، وَلَقَدْ أُذْنِبْتُ النَّارَ مِنِّي حَتَّى جَعَلْتُ أَنْفُخُهَا خَشْيَةً أَنْ تَغْشَاكُمْ حَتَّى رَأَيْتُ فِيهَا امْرَأَةً مِنْ حَمِيرٍ تُعَذَّبُ فِي هِرَّةٍ رَبَطَتْهَا فَلَمْ تَدَعْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ فَلَا هِيَ أَطْعَمَتْهَا، وَلَا هِيَ أَسْقَتْهَا حَتَّى مَاتَتْ، وَلَقَدْ رَأَيْتُهَا تَنْهَشُهَا إِذَا أَقْبَلَتْ، وَإِذَا وَلَّتْ تَنْهَشُ لَيْتَهَا، وَحَتَّى رَأَيْتُ فِيهَا صَاحِبَ سَبْتَيْنِ أَحَا بَنِي الدَّعْدَعِ

يَدْفَعُ بَعْصًا ذَاتِ شُعْبَتَيْنِ فِي النَّارِ. وَحَتَّى رَأَيْتُ فِيهَا صَاحِبَ الْمِحْجَنِ الَّذِي كَانَ يَسْرِقُ الْحَجِيجَ بِمِحْجَنِهِ مُتَكِنًا عَلَى مِحْجَنِهِ فِي النَّارِ، يَقُولُ: إِنَّمَا سَرَقَ الْمِحْجَنُ»^١.

٩:- بكاؤه - ﷺ - عند نعي أصحابه.

● عَنْ أَنَسٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أَنَّ النَّبِيَّ -ﷺ- نَعَى زَيْدًا، وَجَعْفَرًا، وَابْنَ رَوَاحَةَ لِلنَّاسِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَهُمْ خَبَرُهُمْ، فَقَالَ: «أَخَذَ الرَّايَةَ زَيْدٌ فَأُصِيبَ، ثُمَّ أَخَذَ جَعْفَرٌ فَأُصِيبَ، ثُمَّ أَخَذَ ابْنُ رَوَاحَةَ فَأُصِيبَ» وَعَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ: «حَتَّى أَخَذَ الرَّايَةَ سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ اللَّهِ، حَتَّى فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ»^٢.

١٠: بكاؤه - ﷺ - عند عيادته سعد بن عبادَةَ ﷺ.

● عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا-، قَالَ: "اشْتَكَى سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ شَكْوَى لَهُ، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ -ﷺ- يَعُودُهُ مَعَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، وَسَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ-، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ فَوَجَدَهُ فِي غَاشِيَةِ أَهْلِهِ، فَقَالَ: «قَدْ قَضَى» قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَبَكَى النَّبِيُّ -ﷺ-، فَلَمَّا رَأَى الْقَوْمَ بُكَاءَ النَّبِيِّ -ﷺ- بَكَوْا، فَقَالَ: «أَلَا تَسْمَعُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يُعَذِّبُ بِدَمْعِ الْعَيْنِ، وَلَا بِخُزْنِ الْقَلْبِ، وَلَكِنْ يُعَذِّبُ بِهَذَا - وَأَشَارَ إِلَى لِسَانِهِ - أَوْ يَرْحَمُ، وَإِنَّ الْمَيِّتَ يُعَذِّبُ بِبُكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ». وَكَانَ عُمَرُ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- يَضْرِبُ فِيهِ بِالْعَصَا، وَيَرْمِي بِالْحِجَارَةِ، وَيَخْنِي بِالتُّرَابِ»^٣.

١١: بكاؤه - ﷺ - عند موت أحد أحفاده.

● عَنْ أُسَامَةَ، قَالَ: "كَانَ ابْنُ لِبْعَضِ بَنَاتِ النَّبِيِّ -ﷺ- يَقْضِي، فَأَرْسَلَتْ إِلَيْهِ أَنْ يَأْتِيَهَا، فَأَرْسَلَ: «إِنَّ لِلَّهِ مَا أَخَذَ، وَلَهُ مَا أَعْطَى، وَكُلُّ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى، فَلْتَصْبِرْ وَلْتَحْتَسِبْ»، فَأَرْسَلَتْ إِلَيْهِ فَأَقْسَمَتْ عَلَيْهِ، فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ-، وَقُمْتُ مَعَهُ، وَمُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، وَأَيُّ بْنُ كَعْبٍ، وَعُبَادَةُ بْنُ

١[أخرجه النسائي في صلاة الكسوف وصححه الألباني].

٢[أخرجه البخاري: (٢٧٩٨)].

٣ [متفق عليه].

الصَّامِتِ، فَلَمَّا دَخَلْنَا نَاوَلُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - الصَّبِيَّ وَنَفْسُهُ تَقْلَقُلُ فِي صَدْرِهِ -^١، حَسِبْتُهُ قَالَ: كَأَنَّهَا شَنَّةٌ - فَبَكَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ -، فَقَالَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ أَتَبْكِي، فَقَالَ: «إِنَّمَا يَرْحَمُ اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ الرَّحْمَاءَ»^٢.

١٢ :بكائه -ﷺ- عند زيارة قبر أمه.

● عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: "زَارَ النَّبِيُّ ﷺ - قَبْرَ أُمِّهِ، فَبَكَى وَأَبْكَى مَنْ حَوْلَهُ، فَقَالَ: «اسْتَأْذَنْتُ رَبِّي فِي أَنْ أَسْتَغْفَرَ لَهَا فَلَمْ يُؤْذَنْ لِي، وَاسْتَأْذَنْتُهُ فِي أَنْ أَزُورَ قَبْرَهَا فَأُذِنَ لِي، فَزُورُوا الْقُبُورَ فَإِنَّهَا تُذَكِّرُ الْمَوْتَ»^٣.

١٣ :بكائه -ﷺ- يوم بدر لما عرض عليه أصحابه أخذ الفداء عن الأسارى.

● قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: "فَلَمَّا أَسْرُوا الْأَسَارَى، - أَي يَوْمَ بَدْرٍ -، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - لِأَبِي بَكْرٍ، وَعُمَرَ: «مَا تَرَوْنَ فِي هَؤُلَاءِ الْأَسَارَى؟» فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: "يَا نَبِيَّ اللَّهِ، هُمْ بَنُو الْعِمِّ وَالْعَشِيرَةِ، أَرَى أَنْ تَأْخُذَ مِنْهُمْ فِدْيَةً فَتَكُونُ لَنَا قُوَّةٌ عَلَى الْكُفَّارِ، فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُمْ لِلْإِسْلَامِ"، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - : «مَا تَرَى يَا ابْنَ الْخَطَّابِ؟» قُلْتُ: "لَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا أَرَى الَّذِي رَأَى أَبُو بَكْرٍ، وَلَكِنِّي أَرَى أَنْ تُمَكِّنَّا فَنَضْرِبَ أَعْنَاقَهُمْ، فَتُمْكِنَ عَلَيْنَا مِنْ عَقِيلٍ فَيَضْرِبَ عُنُقَهُ، وَتُمْكِنَ مِنْ فُلَانٍ نَسِيبًا لِعُمَرَ، فَأَضْرِبَ عُنُقَهُ، فَإِنَّ هَؤُلَاءِ أَيْمَةُ الْكُفْرِ وَصَنَادِيدُهَا، فَهَوِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - مَا قَالَ أَبُو بَكْرٍ، وَلَمْ يَهُوَ مَا قُلْتُ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ جِئْتُ، فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - وَأَبُو بَكْرٍ قَاعِدَيْنِ يَبْكِيَانِ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَخْبِرْنِي مِنْ أَيِّ شَيْءٍ تَبْكِي أَنْتَ وَصَاحِبُكَ؟ فَإِنْ وَجَدْتُ بُكَاءً بَكَيْتُ، وَإِنْ لَمْ أَجِدْ بُكَاءً تَبَاكَيْتُ لِبُكَائِكُمَا"، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - : «أَبْكِي لِلَّذِي

١[يقضي]: تنزع روحه ويموت. (تقلقل): تصوت وتضطرب].

٢[متفق عليه].

٣[رواه مسلم: (٩٧٦)].

عَرَضَ عَلَيَّ أَصْحَابُكَ مِنْ أَخَذِهِمُ الْفِدَاءَ، لَقَدْ عُرِضَ عَلَيَّ عَذَابُهُمْ أَذْنَى مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ ،
شَجَرَةٍ قَرِيبَةٍ مِنْ نَبِيِّ اللَّهِ - ﷺ -، وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: {مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى
يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ}¹، إِلَى قَوْلِهِ {فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا}²، فَأَحَلَّ اللَّهُ الْغَنِيمَةَ لَهُمْ³.

¹[الأنفال: ٦٧].

²[الأنفال: ٦٩].

³[رواه مسلم: ١٧٦٣].